

جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

التعالق بين الصوت و المعنى في ألفاظ من القرآن الكريم

The Onomatopoeia between vocals and meanings in the holy quraan

إعداد الطالبة

سلمى محمد المطيري

إشراف

الدكتور ابراهيم محمد سالم أبوعلوش

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

عمادة الدراسات العليا

الفصل الثاني، 2017 / 2018

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُو العِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة آل عمران، الآية: 18]

إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت

أنا الطالبة: سلمى محمد المطيري. الرقم الجامعة: 1570301005

التخصص: لغة عربية. الكلية: الآداب والعلوم الإنسانية.

أعلن بأنني قد إلتزمت بقوانين جامعة آل البيت، وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير عندما قمت شخصيًا بإعداد رسالتي التي تحمل عنوان:

"التعالق بين الصوت والمعنى في الفاظ من القرآن الكريم"

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل العلمية، كما أنني أعلن بأنَّ رسالتي هذه غير منقولة، أو مستلة من رسائل، أو أطاريح، أو كتب، أو أبحاث، أو أيِّ منشورات علمية تم نشرها، أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية.

التاريخ 29 / 4 / 2018 م

توقيع الطالبة:........................

التفويض

أنا الطالبة **سلمى محمد المطيري**، أفوّض جامعة آل البيت بتزويد نسخٍ من رسالتي للمكتبات، أو المؤسسات، أو الهيئات، أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات المعمول بها في الجامعة.

التاريخ: 29 / 4 /2018 م

التوقيع: ....



قرار لجنة المناقشة

التعالق بين الصوت و المعنى في ألفاظ من القرآن الكريم

إعداد الطالبة

سلمى محمد المطيري

إشراف

الدكتور ابراهيم محمد سالم أبوعلوش

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الدكتور: إبراهيم محمد سالم أبوعلوش	مشرفاً ورئيساً:	....
تخصص: البلاغة والنقد		
الدكتور: محمود محمد رمضان الديكي	عضواً:	....
تخصص: اللغويات العربية التطبيقية		
الدكتور: عمر عبد المحسن فرح الخزاعلة	عضواً:	....
تخصص: اللغة والنحو والصرف والدلالة		
الدكتور: مصطفى طاهر أحمد الحيادرة	عضواً:	....
تخصص: اللغة والنحو		

نوقشت هذهِ الرسالة، وعنوانها: "التعالق بين الصوت والمعنى في ألفاظ من القرآن الكريم"

وأجيزت، بتاريخ: 29 / 4 / 2018 م

الإهــداء

إلى من كان لسانها يدعو ربَّ العالمين أنْ يُيسرَ لي الطريق...... إلى أغلى الناس،...

"أمي رحمها الله"

.....

إلــى زوجـي الـعـزيـز

.....

الباحثة

سلمى محمد المطيري

الشكر والتقدير

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة، والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد أنْ وفقني الله لهذا العمل المتواضع، يسعدني أنْ أتقدمَ بالشكر والتقدير إلى مشرفي **الدكتور إبراهيم محمد سالم أبوعلوش** الذي أولاني كلَّ الاهتمام من خلال النصائح، والإرشادات، وتقديم المعلومات القيمة، التي أسهمت في إنجاز هذا العمل، جزاه الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول إلى الأساتذة الكرام أعضاء هيئة التدريس في قسم االلغة العربية في جامعة

آل البيت على حسن المعاملة أثناء دراستي في القسم، فجزاهم الله كل خير.

والحمد لله رب العالمين

الباحثة

سلمى محمد المطيري

فهرس المحتويـات

التعالق بين الصوت و المعنى في ألفاظ من القرآن الكريم

إعداد الطالبة

سلمى محمد المطيري

المشرف

الدكتور إبراهيم أبوعلوش

الملخص باللغة العربية

تهدف هذه الدراسة إلى بيان تطبيقيٍّ عمليٍّ من القرآن الكريم ل التعالق بين الصوت والمعنى- تلك التي شغلت الباحثين قديمًا وحديثًا-وتتكون الرِّسالة من تمهيد وفصلين وخاتمة:

الفصل الأول التمهيد: فقد تناول التعريف بمصطلحات البحث وبينتُ فيه الدِّراسة والمقصود بمصطلح التعالق والألفاظ ذات الصِّلة بهذا المصطلح كمصطلحٍ الأونوماتوبيا ومصطلح المحاكاة، وسبب اختيار هذا المصطلح ليكون عنوانًا للدِّراسة.

الفصل الثاني من هذه الدِّراسة: فقد تناول بيان آراءِ العلماء العرب في العلاقة بين الصَّوت والمعنى، كما تناول هذا الفصل مجالاتِ وصورَ(الأنوماتوبيا) كما يراه علماء العربية.

الفصل الثالث: فقد تناول بيانًا تطبيقيًا عمليًا من القرآن الكريم ل التعالق بين الصوت والمعنى، وبيان شواهد من القرآن الكريم تؤكِّد صحةَ هذه ال، جاء هذا الفَصل في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فيهدف إلى بيان الدَّلالة الصَّوتية للحروف المختلفة المكوِّنة للفظ القرآني، وبيان أثر الجمع بين هذه الأصوات في الدَّلالة المعنوية للفظ.

المبحث الثاني: فيَهدف إلى بيان أثرِ التَّكرار في حروف اللَّفظة المفردة نفسها، فتكرار الحروف في اللَّفظة نفسِها له دلالته المعنوية، وهذا ما أشار إليه علماء العربية بقولهم إنَّ زيادة المباني يؤدِّي إلى زيادة المعاني.

المبحث الثالث:المبحث الثالث فيهدفُ إلى بيان الدلالة الصوتية للحروف المجتمعة من خلال أجراسها الموسيقية والإيقاعية.

The Onomatopia In Word From The Holy Quran

Abstract

This study aims at highlighting practically and applicably the theory of the association between vocal and meaning (Onomatopia) in the Holy Qur'an;
a theory that occupied the minds of the Arab scholars in the past and in the present. This thesis consists of an Introduction، two chapters and a conclusion.
The Introduction addressed the definitions of the terms used and highlighted the study and what is meant by "the Association between vocals and meanings (Onomatopia) and other related terms such as "Imitation". Also، it explained the reason behind the choice of this term to be used as a title of this thesis.

Chapter Two of the study addressed and highlighted Arab scholars' opinions and statements in regard to the association between vocal and meaning.
In addition،this chapter addressed the aspects and manifestations of Onomatopia as viewed by Arab scholars.

Chapter three of the study also addressed a practical and applicable illustration from the Holy Qur'an to the theory of association between vocal and meaning، and exhibited evidences from the Holy Qur'an that confirmed the validity of this theory. Moreover، this chapter was divided in three topics;

Topic one: aimed at highlighting the phonetic significance of the different letters that form the Quran utterance، and highlighted the impact of combining these vocals on the moral significance of the utterance.

Topic Two: aimed at highlighting the impact of repetition in the same singular utterance letters; the repetition of the letters of the same utterance has a moral significance which was referred to by the Arab scholars when the stated that the increase in lexemes leads to the increase in meaning.

Key words: aimed at highlighting the phonetic significance of the combined letters through

assonance and rhyme.،their rhythm

مقـــدمـــة

الحمـدلله رب العـالمين، الحمـدلله الـذي أراد فقـدر، وملـك فقهـر، وخلـق فـأمر وعبـد فأثــاب وشكروعصي فعذب وغفر، جعل مصير الذين كفروا الى سقر،والذين لقوا ربهم الى جنـاتٍ ونهر، ليجز الذين كفروا بما عملوا والذين آمنوا بالحسنى، وأشـهد أن لا الـه الا الله وحده لاشريك لـه لـه الملك ولـه الحمد وهو على كل شيءٍ قدير .

أما بعد: فإن قضية التعالق بين اللفظ والمعنى من القضايا التي شغلت الباحثين قديماً وحديثاً، فهذه قضية ممتدة الجذور، وجدت منذ عهد فلاسفة اليونان القدماء، حيث كان سقراط وأفلاطون ممّن رأوا أن الصّلة بين الأصوات والمدلولات طبيعية حتمية، مما يحدو بنا إلى القول إنها قضية فكرية قديمة قدم الفلسفة، ومن هنا بدأ الحديث عنها من قبل فلاسفة اليونـان حيث يرى أفلاطـون واستاذه سقراط والسوفسطائيون ان الصلة بين الالفاظ والمدلولات صلة طبيعية ذاتية اي انها تثير في الذهن مباشرة مدلولاتها المخصصة لها، مع ادراكهم أنّ الصلة قد تنقطع نتيجة لتقادم العهد اوتطور الاصوات وان لم يستطيعوا اثبات هذه الصلة في بعض الالفاظ، لجأوا الى افتراض (ان الصلة الطبيعة كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشاتها، ثم تطورت الالفاظ ولم يعد من اليسير ان نتبين بوضوح تلك الصلة، اونجد لها تعليلاً اوتفسيراً)[1].

يرفض ارسطوايضاً فكرةَ استاذه افلاطون ويري انّ الصلة هي عرفية اصصلاحية يتواضع الناس عليها في مجتمع ما، ويرى سقراط انّ بعضَ الالفاظ له صلة طبيعيةُ بالمعني وبعضها الآخر ليس له صلة طبيعية، وانما اصطلح الناس علي الالفاظ لتدل علي المعاني التي يريدون، وترسخت هذه الالفاظ ومعانيها في الاذهان عن طريق التكرار.

ولا يعني هذا بالضرورة عدم وجود رأي مخالف لتلك ال وهي الصوت اللغوي وماهيته، بل هناك تنفي العلاقة بين ماهية الصوت وبين دلالته، وذلك على عكس المحاكاة التي ترى أنّ الصوت يحاكي الطبيعة، وأنّ لهذا بقايا ثابتة في المخزون اللغوي المتداول.

والباحث في هذه المسألة يجب أن يؤخذ في الاعتبار عند التعامل مع تلك النظريات، أنه قد تكون هناك وجهة نظر تقريبية بين النظريتن، فمن قال بالعلاقة بين الصوت واللفظ له وجهة نظر منطقية ومن قال بغير ذلك له منطقه ومنظوره، لذا فقد عمدت بحول الله تعالى وقوته إلى موضوع: (التعالق بين الصوت والمعنى في القرآن الكريم) ليكون شاهداً على ال الأصح من بين هاتين النظرتين وبيان الأدلة والشواهد التي تدعم الرأي الراجح، ومحاولة بيان وجهة نظر الرأي المرجوح.

---

[1] . العالي، عز الدين. العلاقة بين اللفظ والمعنى وآراء القامى والمتحدثين فيها، (2016). المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراته، ليبيا، العدد السادس، ج2.

أسباب اختيار الموضوع:

يمكن إجمال أسباب اختيار الموضوع فيما هو أن:

1- تسليط الضوء على قضية شغلت الباحثين قديماً وحديثاً، وبيان صحة ال القائلة بوجود علاقة بين الصوت والمعنى من عدمه.

2- محاولة كشف علاقة اللفظ بالمعنى في القرآن الكريم بعد بيان موقف علماء اللغة والبلاغة العرب من هذه ال، ومحاولة الجمع بين ال والتطبيق في دراسة أسلوبية بلاغية للقرآن الكريم .

3- بيان صورة من صور الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وذلك من خلال تسليط الضوء على الأثر الدلالي للفظ القرآني في سياقة ومقارنته بلفظ آخر يرادفه في المعنى، وبيان السبب الإعجازي الصوتي لهذا اللفظ وتفرده بمعان لا يشاركه فيها غيره.

4- محاولة تسليط الضوء على أهمية الجرس الصوتي والإيقاع الموسيقي في دراسة معاني النص القرآني.

5- بيان العلاقة بين تغير الجرس والإيقاع وتغير المعنى والمقام، ومحاولة اختيار تأثيره في الفظ من عدمه.

منهج الدراسة:

المنهج الذي سلكته في البحث هو المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، المتمثل في تتبع الموضوع واستقرائه في مظانه وجمع المعلومات المتعلقة به من هذه المظان، ثم تحليل ما تم استقرائه من نصوص وأفكار.

الجديد في هذا الدراسة:

جأت هذه الدراسة لبيان بعض الأسس التي اعتمد عليها علماء العربية الذين أيدو وجود علاقة بين الصوت والمعنى وخاصة في ألفاظ من القرآن الكريم، التي تم تبيانها وتقسيمها وشرحها بطريقة منظمة ومترابطة تجعل من الدراسة ذات أهمية ومرجع معتمد بعض الشيئ، مما يجعل هذه العلاقة مرتكزة على أسس علمية تدعمها وتؤكد رجحانها، كما أن الدراسة قامت بتفنيد هذه الأسس وبيان مدى صحتها مع علاقة الصوت بالمعنى، وهل هذه الأسس يمكن اعتبارها كقاعدة عامة، أم أنها قاعدة للأغلب بحيث يكون هناك ألفاظ لا تندرج تحت هذه القاعدة ولا تطبق عليها.

الدراسات السابقة:

أولاً: الرسائل العلمية والكتب:

1- جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم (رسالة ماجستير): د. محمد الصغير ، كلية الآداب واللغات – جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر.

2 – تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء السانيات المعاصرة سورة التوبة أنموذجاً (رسالة ماجستير)، د. فخرية غريب قادر.

3- دلالة البنى الصرفية في السور القرآنية القصار (رسالة ماجستير) جلال الدين فيصل العيداني.

4- السمات الصوتية المميزة للانفعالات الإنسانية في القرآن الكريم (رسالة دكتوراة) د. عبد الستار صالح أحمد، جامعة صلاح الدين – العراق.

5- دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، خالد قاسم بن دومي.

المقالات العلمية:

1- العلاقة بين الصوت والمدلول، عبد الكريم مجاهد، مجلة المورد، بغداد، المجلد (14)، العدد 1، 1985م.

2- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، د . كاصد ياسر الزيدي، مجلة الإعجاز القرآني، الصادرة عن مؤتمر الإعجاز القرآني، بغداد.

3- اللفظة القرآنية وجمالية تلقيها في الدرس الإعجازي الحديث والمعاصر: د. كمال أحمد، د. محمد حريز، تاريخ النشر 2/ 12 / 2014م .

4- جماليات الموسيقى في النص القرآني، د. كمال أحمد غنيم و زائد الداية، مجلة مجمع البحوث الإنسانية المجلد العشرون، العدد الثاني، ص 1- 57 ، 2012م.

تقسيمات البحث:

تحتوي الدراسة على المقدمة، وثلاثة فصول، والخاتمة، والفهارس.

المقدمة: وتشتمل على:

- أسباب اختيار الموضوع
- الدراسات السابقة
- منهج الدراسة.
- محتوى الدراسة.

الفصل الأول: تمهيد بيان لبعض مصطلحات البحث.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم التعالق، وسبب استخدام البحث لهذا المصطلح.

المبحث الثاني: العلاقة بين الصوت والدلالة (الأنوماتوبيا) - نشأتها وجهود القائلين بها.

الفصل الثاني: التعالق بين الصوت والمعنى (الأونوماتوبيا) عند علماء العربية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آراء العلماء العرب في العلاقة بين الصوت والمعنى.

المطلب الأول: آراء المتقدمين.

المطلب الثاني: آراء المحدثين.

المبحث الثاني: مجالات وصور(الأنوماتوبيا) كما يراه علماء العربية.

المطلب الأول: مفهوم الصوت والحرف والفرق بينهما.

المطلب الثاني: زيادة المباني وأثرها على زيادة المعاني.

المطلب الثالث: خصائص الحروف وأثرها على المعنى.

المطلب الرابع: المجانسة والابدال في المباني وأثره في المعانى.

الفصل الثالث: تعالق أصوات الألفاظ بمعانيها في القرآن الكريم بين التنظير والتطبيق.

وفيه تمهيد و ثلاثة مباحث:

تمهيد.

المبحث الأول: الدلالة الصوتية للحروف المجتمعة.

المبحث الثاني: البنية الصوتية للحروف المجتمعة.

المبحث الثالث: الأثر الدلالي للأجراس الصوتية والإيقاعية على المعنى.

الخاتمة:

وتشتمل على:

- نتائج الدراسة.
- التوصيات

الفهارس:

وتشتمل على:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

هذا – بحمد الله تعالى وفضله - هو منهج البحث والخطة التي سرت عليها فيه، فإن يكن عملي هذا صواباً فهو بتوفيق الله وفضله، وإن يكن غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان، وحسبي أني كنت حريصة على الحق جاهدةً في تحصيله والوصول إليه، هذا وأعتذر عما وقع في هذا البحث من تقصير أو زلة قلم، فقدرة البشر محدودة، وهم مجبولون على النقص المستمر، إذ الكمال لله وحده.

الـفـصل الأول
تـمـهـيـد
لـبـيـان بـعض مصطلحات الـبحث

وفيـــــــه مبـــــحثـــان_:

<u>المبحــث الأول:</u> مفهوم التعالق، وسبب استخدام هذا المصطلح.

المطلب الأول: مفهوم التعالق لغةً واصطلاحاً.
المطلب الثاني: مصطلحات ذات علاقة باللفظ.
المطلب الثالث: سبب استخدام مصطلح التعالق دون غيره.

<u>المبحــث الثاني:</u> العلاقة بين الصوت والدلالة (الأنوماتوبيا) - نشأتها وجهود القائلين بها.

المطلب الأول: عند الفلاسفة.
المطلب الثاني: عند علماء الغرب المتقدمين.
المطلب الثالث: عند علماء الغرب المحدثين.

المبحث الأول

مفهوم التعالق و سبب استخدام هذا المصطلح

يهدف هذا المبحث إلى التعريف بمصطلحات البحث، إذ لا يمكن الحديث عن شيء قبل التعريف به، والحديث عن هذا المبحث سوف يكون- بمشيئته تعالى- من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم التعالق لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مصطلحات ذات علاقة باللفظ.

المطلب الثالث: سبب استخدام البحث لمصطلح التعالق دون غيره.

المطلب الأول: مفهوم التعالق لغةً واصطلاحاً.

أولاً: مفهوم التعالق لغة:

قال ابن فارس: " العين واللام والقاف أصل كبير صحيح يرجع إلى معنى واحد، وهو أن يناط الشيء بالشيء العالي. ثم يتسع الكلام فيه، والمرجع كله إلى الأصل الذي ذكرناه، تقول: علقت الشيء أعلقه تعليقاً. وقد علق به، إذا لزمه" [1].

والتعالق مصدر الفعل تعالقَ، يقال تعالَقَ يتعالق، تعالُقًا، فهو مُتعالِق، ومنه يقال تعالق الشَّيئان: أمسك كلٌّ منهما بالآخر"، وكذلك تتعالق الألفاظ في النصّ ممّا يدل على تماسكه وجودة سَبْكه [2]. ومنه: علق بالشيء علقاً وعلِقَهُ: بمعنى نشب فيه [3]، قال جرير:

إذا علقت مخالبه بقرن ... أصاب القلب أو هتك الحجابا

اتضح مما سبق أن التعلق من معانيه التلازم بين الشيئين وشدة الارتباط بينهما.

ثانياً: مفهوم التعالق اصطلاحاً:

على الرغم من عدم استخدام علماء العربية سواء القدماء منهم أو المحدثين لمصطلح التعالق في التعبير عن الدلالة بين الصوت ومعناه، إلا أن استخدامهم لهذا المصطلح بصفة عامة يتضح منه أنهم يستخدمونه بالمعنى اللغوي نفسه، فلا يختلف عندهم معنى التعالق في اللغة عن معناه في الاصطلاح.

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م ، عدد الأجزاء: 6 ، 4/ 125 ، 126

(2) انظر: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة: بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب – بيروت ، ط 1 ، 1429 هـ - 2008 م ، 2/ 1538 .

(3) ابن منظور الأنصاري (ت: 711هـ)، لسان العرب دار صادر – بيروت ، ط3 - 1414 هـ ، 10/ 261 .

فالإمام البقاعي مثلاً هو أحد العلماء الذين اهتموا ببيان الجانب البلاغي للقرآن الكريم، نراه يتعرض لمصطلح التعالق، فيقول إن التعالق بين سورة " البقرة " وسورة " آل عمران " تعالق عظيم؛ لأنهما قائمان على أمر واحد هو تقرر ما هو جوهر في معنى الألوهية وما يجب أن يكون أساساً عظيماً من أسس صفات الإله المعبود بحق: أن يكون غيباً لاتدركه الأبصار، وأن يكون واحداً ليس كمثله شيء، وهذا كأنه من عطف الخاص على العام [1].

ثم يقول: وهذا التعالق تراه بادياً في ما جاءت به السنة النبوية الشريفة في فضل هاتين السورتين، روى "مسلم " في صحيحه من كتاب: صلاة المسافرين: باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة بسنده عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما " [2].

تبين مما سبق أن مصطلح التعالق لدى الإمام البقاعي يعني الترابط بين الشيئين ودلالتهما على الأمر ذاته، فهذا دال دلالة جليلة على ما بين هاتين السورتين من التناسب والتآخي، والتناسل والتناغي.

المطلب الثاني: مصطلحات ذات علاقة باللفظ.

من المصطلحات ذات العلاقة بمصطلح التعالق، مصطلح (المحاكاة):

قال في الصحاح: حكيت عنه الكلام حكاية، وحكوت لغة حكاها أبو عبيدة. وحكيت فعله وحاكيته، إذا فعلت مثل فعله وهيئته. والمحاكاة: المشابهة. يقال: فلان يحكي الشمس حسنا ويحاكيها، بمعنى " [1].

يقول ابن منظور في اللسان: « حكيت فلاناً وحاكيته فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه »[2].

---

(1) محمود توفيق محمد سعد: الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، الطبعة بدون رقم وتاريخ: 1/ 161.

(2) مسلم بن الحجاج ، أبو الحسن (ت : 261هـ) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، حديث رقم (804)، 1/ 553.

(1) أبو نصر الجوهري (ت: 393هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، ط4، 1407 هـ - 1987 م ، 6/ 2317.

(2) ابن منظور، لسان العرب: 14 / 191 .

أما معنى المحاكاة في الاصطلاح: «المحاكاة أو التقليد عملية لها أهميتها في تكامل حياة الكائن الحي وترقيه، وهي عملية تقع بين عمليتي التعاطف والإيحاء، فهي مشاركة وتقليد متبادل بين أفراد النوع فيما (كذا) يأتونه من حركات وأفعال»[3] .

أيضاً من المصطلحات ذات العلاقة بمصطلح التعالق، مصطلح (الأونوماتوبيا):

وهذه الحكاية يسميها الإفرنج أنوماتوبي (**Onomatopoeia**) وهي كلمة يونانية معناها وضع الاسم، ويجعلونها باباً من أبواب البيان. ولا بد أن استعمال الحكاية بين الأمم قديم جداً، وبها وضعت الألفاظ ومبادئ الاصطلاحات اللغوي، وأمثالها كثيرة في كل اللغات. وإنما وجدت في طبع البشر لأنها أسهل واسطة للتعبير عن الأشياء، وأقوم طريقة للدلالة على الشيء بتصويره للفكر بما يمثل صوته»[1] .

فكلمة الأونوماتوبيا: هي عملية تجسيد الصوت للمعنى، فيكون الشكل بذاته دالًا على مضمونه، والنقد الحديث صار يؤكّد هذه الظاهرة في الأدب على أنها عنصر ترميز، بحيث يصبح الشكل شفافاً مصوّراً جوانب المعنى بصوته، وقد جاء في تعريفها:

<u>المطلب الثالث : سبب استخدام البحث لمصطلح التعالق دون غيره .</u>

تبين مما سبق أن المصطلحات سالفة الذكر وإن كانت تشابه معنى التعالق في الدلالة، إلا أنها لا يمكن أن تؤدي الدلالة المعنوية التي يؤديها لفظ التعالق، فالتعالق معناه النشوب في الشيء، يقال أعلق الحابل: بمعنى علق الصيد في حبالته أي نشب. ويقال للصائد: أعلقت فأدرك أي علق الصيد في حبالتك. وقال اللحياني: الإعلاق وقوع الصيد في الحبل. يقال: نصب له فأعلقه. وعلق الشيء علقاً وعلق به علاقة وعلوقاً: لزمه. وعلقت نفسه الشيء، فهي علقة وعلاقية وعلقنة: لهجت به [1].

أما مصطلح المحاكاة فلا يفيد هذا المعنى، وإنما يدل على محاولة التقليد والمماثلة بين الشيئين، وعن لفظ الأونوماتوبيا فهو لفظ غير عربي، يترجح بين الإجمال والسطحية وبين

---

(3) معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1986م، مج 1،ص 729.

(1) بطرس البستاني، دائرة المعارف، بيروت، دار المعرفة، د. ت.، المجلد 7،ص 124.

(1) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : 10/ 261 .

الغزارة والعمق كما يراه المحدثون، كما أن كتب الإعجاز القديمة لم تنوه بهذه الجمالية[2] ، لذا يعتبر التراث العربي صاحب الفضل في تدعيم هذه العلاقة.

---

(2) انظر : أحمد ياسوف ، جماليات المفردة القرآنية ، الناشر: دار المكتبى – دمشق ، عدد الأجزاء: 1 ط 2، 1419 هـ - 1999م ، 1/ 222.

المبحث الثاني

العلاقة بين الصوت والدلالة (الأنوماتوبيا) – نشأتها وجهود القائلين بها .

إنّ مسألة الصلة بين اللفظ ومدلوله (بين الصوت والدلالة) كانت مثار جدل بين الدارسين قديماً وحديثاً، غير أن النتيجة الحاسمة التي أرضت أغلبهم هي الإقرار بوجود علاقة وشيجة بين طبيعة الصوت ودلالته المعنوية، والحديث عن هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: العلاقة بين الصوت والدلالة عند الفلاسفة.

المطلب الثاني: علاقة الصوت بالدلالة عند علماء الغرب المتقدمين

المطلب الثالث: علاقة الصوت بالدلالة عند علماء الغرب المحدثين.

المطلب الأول : العلاقة بين الصوت والدلالة عند الفلاسفة .

تشير الدراسات الحديثة إلى أن جماعة من الفلاسفة والمناطقة، في مختلف اللغات عالجت فكرة العلاقة بين الصوت والدلالة، فقد أسهب في دراستها فلاسفة اليونان، وسألوا أنفسهم عن طبيعة العلاقة بين أصوات الكلمة ومدلولها، وعما إذا كانت هذه العلاقة تتضمن ناحية رمزية توثق بين تلك الأصوات وما تدل عليه الكلمات من أمور ندركها بالحواس والعقول، أو أن الأمر لا يعدو مجرد المصادفة[1].

فمن ناحية، ذهب كثير من فلاسفة اليونان إلى أن اللفظ يكتسب دلالته بطريقة طبيعية. ومن أشهر القائلين به (هيرقليطس) الذي ذهب إلى أن المناسبة بين اللفظ ومدلوله ضرورية، وأن الأسماء بأصواتها تستطيع أن ترسم جواهر الأشياء، وأن تنطق بماهياتها بأعيانها[2].

وبعد (هيرقليطس) يأتي أفلاطون (347ق.م) الذي ذهب إلى وجود علاقة طبيعية وثيقة بين الكلمات ومدلولاتها تدركها العقول[1]، فقد كان مأخوذاً بسحر الكلمة، مغتبطاً بشفافيتها، انطلاقاً من اعتقاده بأن اللغة ظاهرة طبيعية[2].

أما سقراط (399 ق.م) فقد حاول التوفيق بين الرأي القائل بوجود العلاقة الطبيعية بين الكلمة ومدلولها، وبين الرأي القائل بوجود العلاقة الاصطلاحية بينهما، وذهب إلى أن الخوض في هذه المسألة فيه مشقة، وأن هناك من الأسماء تدل وتشهد على أنها لم تتم اعتباطاً، وإن لها أصلا من الطبيعة[3].

ولكن، لما عجز الفلاسفة اليونانيون عن إثبات الصلة بين اللفظ ومدلوله في بعض الألفاظ، لجؤوا إلى افتراض أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نتبيّن بوضوح تلك الصلة أو نجد لها تعليلاً أو تفسيراً[4].

إن أول نقد للتصور الأفلاطوني للمثل الذي يفترض ثنائية جدلية في تركيبة العالم، كان على يد تلميذ أفلاطون نفسه وهو أرسطو، إذا إنه يفهم اللغة انطلاقاً من العرف والتقليد السائدة بين

(1) انظر: إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط6 ، 1987م ، ص135.

(2) انظر: صالح سليم : الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، المكتب العربي– الإسكندرية ،دت ، ص25.

(1) انظر: مصطفى جطل وزميلاه: العلاقة بين الدال والمدلول: ص11.

(2) انظر: عبد الكريم مجاهد: الدلالة اللغوية عند العرب: ص204.

(3) انظر: مصطفى جطل وزميلاه: العلاقة بين الدال والمدلول: ص11.

(4) انظر: مصطفى جطل وزميلاه: العلاقة بين الدال والمدلول: ص11.

الناس التي ولدت الاختلاف في الألسنة، وهو بذلك يدحض المحاكاة الأفلاطونية، منسجماً مع منهجه الطبيعي في النظر إلى الأشياء حسبما هي موجودة في عالم الواقع. هذا الموقف الأرسطى، أتى على العكس تماماً من موقف الرواقيين الذي قالوا إن المحاكاة الطبيعية هي التي تحكم نشأة اللغة، وذلك لاعتبارهم أن الطبيعة هي مصدر الأشياء جميعاً، فالأسماء في رأيهم قد صيغت بشكل طبيعي، أي من الأصوات الأولى التي تبدو مثل الأشياء التي تطلق عليها[1] .

المطلب الثاني: علاقة الصوت بالدلالة عند علماء الغرب المتقدمين .

لقد تنبه علماء الغرب إلى ما بين الصوت والدلالة من ارتباط، أول من دافع عن هذا المذهب، من علماء الغرب بالتفصيل العالم الألماني "هردر" Harder في كتابه "بحوث في نشأة اللغة" الذي نشره سنة 1772م [2].

فهو يرى أنّ اللغة ليست أداة للفكر وحسب، بل هي أيضاً القالب الذي يتشكّل فيه الفكر. كما «أنّ لغة جماعة أنسية ما تفكر داخل اللغة وتتكلم بها، هي المنظّم لتجربتها، وهي بهذا تصنع عالمها وواقعها الاجتماعي ... إن كل لغة تحتوي على تصوّر خاص بها للعالم» [3] .

وقد ساعدت المناقشات التي دارت في أواخر القرن الثامن عشر والتي تعزى للفيلسوف الفرنسي كونديلاك "condillac" والفيلسوف الألماني هردر "Herder" على تمهيد الطريق نحو فهم أفضل للاعتماد المتبادل بين اللغة والفكر والثقافة، ومنذ القرن التاسع عشر اتجه معظم اللغويين - باستثناء قلة قليلة إلى حد بعيد- إلى تنحية قضية نشأة اللغة بأكملها باعتبارها قضية خارج مجال البحث العلمي دائما، والسبب في ذلك كما رأينا أن اللغويين أدركوا عبر القرن التاسع عشر أنه مهما رجعوا إلى الوراء في تاريخ اللغات المعينة من خلال النصوص التي وصلت إلينا فإنه من المستحيل أن نعثر فيها على أية علامة من علامات التطور النشوئي من وضع أكثر بدائية إلى وضع أكثر تقدماً[1].

المطلب الثالث: علاقة الصوت بالدلالة عند علماء

---

(1) روبرت هنري روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، العدد 227، ت ط 1978م ،ص 42.

(2) رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي:، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 3، 1417هـ – 1997م ، 1/ 112.

(3) انظر : التهانوي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق: د. علي دحروج ، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ،ط1، 1996م. مقدمة المحقق : ص 32 .

(4) جون ليونز : اللغة وعلم اللغة : الناشر: دار النهضة العربية ، ط1 ، بدون تاريخ ، عدد الأجزاء: 1 ، 40 ، 41 .

الغرب المحدثين .

يلخص «جسيرسن» آراء المحدثين في الصلة بين الألفاظ والدلالات فيعرض أولا لمقال «همبات» الذي يزعم فيه أن اللغات يوجه عام تؤثر التعبير عن الأشياء بوساطة ألفاظ أثرها في الآذان يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان.

أي أن «همبات» كان من أنصار المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والدلالات. وقد عارضه في هذا الرأي «مدفيج»، وساق له كثيراً من الكلمات التي لا تتضح فيها هذه العلة، غير أن «مدفيج» في رأي جسر من كان متجنيا على «همبلت» لأنه لم يدفع أن مثل هذه الظاهرة تطرد فثي كل كلمات اللغة، ولأنه بين في ثنايا هذا الرأي أن الكلمات بدأت واضحة الصلة بين أصواتها ودلالاتها، ثم تعاورت تلك الأصوات أو تلك الدلالات، وأصبحت الصلة غامضة علينا [2].

ويبدو أن جسيرسن، كان ممن ينتصرون لأصحاب بين الألفاظ ودلالاتها، غير أنه حذرنا من المغالاة في هذا، إذ يرى أن هذه الظاهرة لا تكاد تطرد في لغة من اللغات، وأن بعض الكلمات تفقد هذه الصلة على مر الأيام، في حين أن كلمات أخرى تكنسبها وتصبح فيها واضحة بعمد أن كانت لا تلحظ فيها[1].

ويسوق لنا جسيرسن أمثلة لتلك النواحي التي نلحظ فيها وثوق الصلة بين الألفاظ والدلالات منها:

أ- وأوضح تلك النواحي ما يسمى **Onomatoopeia** وهي الألفاظ التي تعد بمثابة صدى الأصوات الطبيعة. وهذه ظاهرة واضحة في كل اللغات، وهي تشبه ما عندنا في العربية من أمثال الخفيف، والخرير، والزفير والصهيل والهزيم والهواء والزئير إلى غير ذلك من كلمات استمدت ألفاظها من الأصوات الكونية وأصوات الحيوانات.

ب- يؤكد لنا «جسبرسن» أن الألفاظ التي تعبر عن الصوت الطبيعي قد تنتقل، وتصبح معبرة عن مصدر هذا الصوت، وذلك كان يصبح الزئير اسماً من أسماء الأسد. ففي أوربا طائر بظهر في الربيع ويصبح «كوكو»، وكان من الممكن أن تقنع هذه اللفظة بالتعبير عن صوت هذا

(2) انظر: ابراهيم أنيس . دلالة الألفاظ : ط 5 ، 1984م ، ص 70

(1) انظر: ابراهيم أنيس . دلالة الألفاظ : ط 5 ، 1984م ، ص 69 .

الطائر، ولكنها تستعمل الآن للطائر نفسه. كذلك قد تسمى حركات الإنسان بما ينبعث عنها من أصوات، فصوت المشمى قد يطلق على المشي نفسه [2] .

وبعد دي سوسير من أشهر المعارضين لأصحاب الصلة بين الألفاظ والدلالات، إذ يراها اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطرد. ومع اعترافه بتلك الصلة في الألفاظ التي تعد بمثابة الصدى لأصوات الطبيعية والتي تسمى **Onomatopoeic** يقرر أنها من القلة في الألسن، ومن الاختلاف والتباين باختلاف الألسن الإنسانية، بحيث لا يصح أن نتخذ منها أساساً لظاهرة لغوية مطردة أو شبيهة بالمطردة. هي إذن في رأيه مجرد ألفاظ قليلة تصادف أن أشبهت أصواتها دلالاتها[1].

(1). انظر: خالد بن محمد دومي ، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم :،الناشر : عالم الكتب الحديث – الأردن ، عام 2006م ، ص 50- 53.

(2) ينظر فردينان دي سوسير: علم اللغة العام ،ص 86 – 87 0

الفصل الثاني

التعالق بين الصوت والمعنى (الأونوماتوبيا) عند علماء العربية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : آراء العلماء العرب في العلاقة بين الصوت والمعنى.

المطلب الأول: آراء المتقدمين.
المطلب الثاني: آراء المحدثين.

المبحث الثاني: مجالات وصور(الأنوماتوبيا) كما يراه علماء العربية.

المطلب الأول: مفهوم الصوت والحرف والفرق بينهما.
المطلب الثاني: زيادة المباني وأثرها على زيادة المعاني.
المطلب الثالث: خصائص الحروف وأثرها على المعنى.
المطلب الرابع: المجانسة والإبدال في المباني وأثرها في المعاني.

المبحـث الأول

آراء العلماء العرب في العلاقة بين الصوت والمعنى .

يهدف هذا المبحث إلى بيان موقف علماء العربية من التعالق بين الصوت والمعنى، والحديث عن هذا المبحث سوف يكون- بمشيئته تعالى- من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: آراء علماء العربية المتقدمين.

المطلب الثاني: آراء علماء العربية المحدثين.

المطلب الأول : آراء علماء العربية المتقدمين .

يمكن القول إن فكرة الصوت وما يؤديه من دلالة قد حظيت بأهمية بالغة عند العرب؛ فقد بدأ البحث عن طبيعة العلاقة بين جرس الكلمة ومعناها الذي يتسق معها عند العرب في وقت مبكر، منذ أن واجهوا مشكل الآيات القرآنية وإعجازها، واستخراج الأحكام الشرعية واللغوية منها، سواء عند علماء الفقه والأصوليين أو عند اللغويين؛ إدراكا من هؤلاء لأهمية مسألة الصوت والدلالة، وقيمتها في خدمة القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، وحفظ نقاء العربية وصفائها، وحل كثير من إشكالاتها الصوتية والدلالية، وبيان القيم التعبيرية للأصوات وهي منتظمة داخل البنيات أو التراكيب[1] .

وقد اتجه علماء العربية المتقدمون في دراساتهم هذه وجهتين:

الأولى: تتمثل في دراسة الانسجام الصوتي في اللفظة الواحدة، باعتباره يوضح المستعمل من المهمل، والفصيح من غيره، وبيان المعايير المعتمدة في الحكم على فصاحة المفردات أو التراكيب بالنظر إلى أصواتها. ويعد ما قدمه علماؤنا في هذا الميدان جهداً عظيماً استهدف الوصول إلى إدراك العلاقات بين الأصوات انسجاماً أو تنافراً، والوقوف عند قوانين الانسجام والتنافر وغير ذلك، مما يشير إلى أن عناية العرب بالدراسات الصوتية قد كانت مقترنة بقضايا الإعجاز القرآني.

---

(1) انظر: عبد الكريم مجاهد: الدلالة اللغوية عند العرب، ص9.

أما الثانية فتتمثل في دراسة القيمة التعبيرية للأصوات، ومدى اتفاق دقة الدلالة مع جرس الأصوات المختارة، وهل هناك اختيار مقصود للصوت ليؤدي الدلالة المغايرة لما يؤديه الصوت الآخر، وهل فكرة مناسبة الصوت للدلالة قد وقعت لهم اتفاقاً أو عن قصد [1].

العلاقة بين الصوت واللفظ عند علماء اللغة:

وإذا ما نظرنا إلى الدراسات التي قام بها علماء العربية المتقدمون، استطعنا أن نقف فيها على معالم هادية، ومحاولات جادة، يمكننا عن طريقها الحكم بأن هؤلاء العلماء قد التفتوا إلى مسألة دلالة الصوت ومناسبته لمعناه؛ وهذه المحاولات الجادة نجد بعضها عن الخليل، وكثيراً منها لدى سيبويه في «كتابه»، كما نجدها أكثر نضجاً واتساعاً عند ابن جني في «خصائصه»، وفي مؤلفات ابن فارس وابن الأثير من بعده.

ويعد الخليل منبع الاتجاه الذي تولى دراسة القيمة التعبيرية للأصوات، ومدى اتفاق دقة المعنى مع جرس الحرف المختار؛ فقد شغلته الألفاظ المعبرة عن أصوات المسموعات، ورأى فيها أصواتاً محاكية للطبيعة، وحاول إثبات نوع من الصلة الطبيعية بين أجراس الحروف ودلالاتها من جهة، ثم بين أنغام الألفاظ ومعانيها الكلية من جهة أخرى، وفي ذلك النظر تبدو الأصوات والصيغ مترابطة مع الدلالة، وكأن هنالك نتيجة ضرورية للإيحاء من تتابع الحروف أو بناء الكلمات [2] .

ويبدو لنا، بالنظر في تفكير اللغويين المتقدمين في أصل اللغة ومنشئها، أنهم قد تصوروا أن ثمة ارتباطا وثيقاً بين الأصوات ومدلولاتها. فقد ذكر الخليل قوله: «كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر»[1].

وفي هذا القول إشارة واضحة إلى أن أصوات الكلمة تحكي مدلولها؛ فكلمة (صر) صورة لفظية لصوت الجندب المستمر دون توقف أو انقطاع، وكلمة (صرصر) صورة لفظية لصوت البازي المتقطع.

ويلاحظ أن تضعيف الراء الناشئ عن التشديد في (صر) ينتج عنه نوع من المط والاستطالة، ينشأ عن سمة التكرارية التي تتسم بها الراء، وهذا في نهاية الكلمة يناسب ما في صوت الجندب من مد واستطالة؛ فالمناسبة هنا ظاهرة بين أصوات هذه الكلمة ودلالتها[2] .

---

(1) انظر: هادي نهر : الحروف والأصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين ، مجلة آداب – المستنصرية ، العدد (8)، 1984، ص250.

(2) انظر: المرجع السابق، ص250. انظر: مصطفى مندور: اللغة بين العقل والمغامرة، ص54.

(1) ابن جني: الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي: 505/1.

(2) انظر: ابن جني: الخصائص – مقدمة المحقق «عبد الحميد هنداوي»: 18/1.

أما في (صرصر) فإن تكرار الصاد، وفك إدغام الراء قد نهضا لرسم صورة لفظية لصوت البازي الذي نسمع فيه تقطيعا - أو ترجيعاً وهذا التقطيع متمثل في اللفظ من حيث كونه مرجعاً ومكونا من مقطعين هما: صر صر.

ولاشك في أن مثل هذه المحاكاة الصوتية ليست نقلاً ساذجاً لأصوات الأشياء؛ إنما هي شيء من أبنية اللغة له خصائص صوتية وصرفية ودلالية[3].

وإذا تأملنا أقوال الخليل عرفنا أنه كان ممن يذهب إلى وجود العلاقة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله . والراجح أن الخليل أول من تنبه إلى ذلك وأشار إليه، دون أن يصرح بأنه مذهب في تفسير نشأة اللغة كان ماثلاً لديه، ولكننا نلمح من خلال معالجاته بعض الألفاظ من حيث المناسبة الطبيعية بينها وبين مدلولاتها ما يترك في أنفسنا القناعة بأنه كان يرى هذا الرأي[1] .

فقد ورد عنه أنه قال: « يقولون: صلَّ اللّجَامُ يصل صليلاً، فلو حكيت ذلك قلت: صَلَّ تَمُدُّ وتثقلها، وقد خففتها في الصَّلصَلة، وهما جميعاً صوت اللجام، فالثقل مد، والتضاعف ترجيع»[2].

وقال في نون التوكيد: «فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكد، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشد توكيداً»[3].

ويبدو من خلال هذه الأمثلة وغيرها مما وقف عليه الخليل أنه استطاع، بحسه اللغوي الدقيق، أن يدرك الوشيجة بين الأصوات والدلالات، وكان له فضل السبق إلى القول بوجود هذه الوشيجة بين أصوات الطبيعة ودلالاتها؛ وهو ما يطلق عليه اللغويون المحدثون اسم «الدلالة الصوتية» [4] .

وكان الخليل أول من سَمَّى صوت الحرف الذي يصدر منه «جرساً»، وهي تسمية صوتية دقيقة، وجدت قبولاً في حساب البحث اللغوي الحديث. فهو مثلًا يصف (العين) و(القاف) بأنهما «أطْلَقُ الحروف وأضخمها جرساً»[5]. ولذلك فإنهما - في ما يرى «لا تدخلان في بناءً إلا حسنتاه»[6] .

---

(3) انظر: أحمد محمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، ص60.
(1) انظر: محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص448.
(2) الخليل بن أحمد: كتاب اللعين – المقدمة، ص56.
(3) كتاب سيبويه: 509/3.
(4) انظر: كاصد الزيدي: فقه اللغة العربية، ص412.
(5) الخليل بن أحمد: العين 53/1.
(6) المرجع نفسه: 53/1

فإذا انتقلنا إلى كلام سيبويه في هذا المجال فإننا نجد أن سيبويه قد سبق الخليل إلى هذا الباب، فهو يقول: « هذا باب (افعوعل) وما هو على مثاله مما لم نذكره. قالوا: (خشن)، وقالوا: (اخشوشن). وسألت الخليل فقال: كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد، كما أنه إذا قال: (اعشوشبت الأرض) فإنما يريد أن يجعل ذلك كثيراً عاماً، وقد عقد سيبويه باباً في كتابه تحدث فيه عما جاء على مثال واحد حين تقاربت المعاني [1]. ونحتاج إلى الوقوف أمام بعض المواضع في (الكتاب) لتأملها وبيان مدى وقوف سيبويه على ظاهرة العلاقة بين الأصوات ودلالاتها، فلنتأمل على سبيل المثال قوله: «ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد، حيث تقاربت المعاني قولك: النزوان والنقزان؛ وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع. ومثله العسلان والرتكان. ومثل هذا الغليان، لأنه زعزعة وتحرك. ومثله الغثيان، لأنه تجيش نفسه وتثور. ومثله الخطران واللمعان، لأن هذا اضطراب وتحرك. ومثل ذلك اللهبان والصخدان والوهجان، لأنه تحرك الحر وثؤوره، فإنما هو بمنزلة الغليان»[2] .

يلاحظ في هذا النص التفات سيبويه إلى الدلالة المركزية المشتركة التي توحي بها البنية الصوتية لتلك المصادر (النزوان، والنقزان، القفزان...)[3]. فهذه المصادر قد اشتركت جميعاً في بنية صوتية واحدة هي صيغة (فعلان) بما لها من سمات صوتية خاصة. وإذا تأملنا الدلالة المعجمية لتلك المصادر وجدناها تشترك جميعها في معنى مشترك بينها هو الحركة والاهتزاز والاضطراب، وهي تعبر عن الشيء الذي تزداد حركته واهتزازه واضطرابه شيئاً، ثم يطول حركته ويستمر اضطرابه حيناً، ولا يكون هدوؤه فجأة، بل يستمر زمناً حتى يهدأ [4]،

فالألفاظ عند ابن جني دليل المعاني؛ يقول في «الخصائص»: فأول ذلك عنايتها - أي العرب - بألفاظها، فإنما لما كانت عنوان معانيها، وطريقا إلى إظهار أعراضها ومراميها أصلحوها ورتبوها وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب به في الدلالة على القصد» [5] .

---

(1) كتاب سيبويه: 12/4.

(2) المرجع نفسه: 14/4.

(3) النزوان والنقزان والقفزان. ألفاظ تطلق على صور زعزعة البدن ، فهي تدل على اهتزاز في ارتفاع .

(4) انظر: ابن جني: الخصائص، مقدمة المحقق: 19/1.

(5) ابن جني: الخصائص: 237/1.

ويؤكد ذلك موقع آخر فيقول: «اعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمة، وعليها أدلة موصلة، وعلى المراد منها محصلة، عنيت العرب بها فأولتها قدراً صالحاً من تثقيفها وإصلاحها»[1].

وإذا كان سيبويه قد التفت إلى العلاقة بين الأصوات والمعاني التي تدل عليها في مثل تلك المصادر، دون محاولة منه في الكشف عن وجه المناسبة بين أصوات تلك المصادر ومعانيها، فإن ابن جني قد تلقف إشارات كل من الخليل وسيبويه في هذا المجال، ثم أولى هذا الباب عناية فائقة، وأخذ يعلل أو يبين وجه التناسب بين تلك الأصوات وتلك المعاني[2]. وقد علّل لمناسبة تلك المصادر لمعانيها تعليلاً جيداً بقوله: «فقابلوا بتوالي حركات المثال (أي الصيغة أو البنية) توالي حركات الأفعال»[3].

لقد استطاع ابن جني أن يبلور فكرة العلاقة بين اللفظ ومدلوله، وذلك في أربعة من أبواب كتابه «الخصائص». وهذه الأبواب هي: باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، وباب الاشتقاق الأكبر، وباب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وباب إمساس الألفاظ أشباه المعاني، وفي باب (الاشتقاق الأكبر)[4] يشير ابن جني إلى أن أصوات المادة الواحدة مهما كان ترتيبها ترتد إلى معنى واحد، وكأنه بهذا يربط بين الألفاظ وما يصاغ منها وبين معانيها، ولو احتاج الأمر إلى التأويل. وفي هذا يقول: «فإن شذ شيء من شعب هذه الأصول عن عقده ظاهراً، رد بالتأويل إليه، وعطف بالملاطفة عليه»[1].

ثم راح يمثل عليه بقوله: « ومن ذلك تراكيب (ق س و) و (ق و س)، (و ق س)، (و س ق)، (س و ق)، وأهمل (س ق و)، وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع. منها (القسوة) وهي شدة القلب واجتماعه... ومنها (القوس) لشدتها واجتماع طرفيها، ومنها (الوقس) لابتداء الجرب، وذلك لأنه يجمع الجلد ويقحله، ومنها (الوسق) للحمل، وذلك لاجتماعه وشدته ومنه استوسق الأمر أي

---

(1) ابن جني: الخصائص: 317/1.

(2) انظر المرجع نفسه – مقدمة المحقق: 20/1.

(3) انظر المرجع نفسه – مقدمة المحقق: 20/1.

(4) انظر: المرجع نفسه: 490/1-494. وقد اعترف ابن جني أن أستاذه أبا عليّ الفارسي (ت377) قد فطن من قبله إلى هذا الموضوع، ولكنه وفي ذلك يقول ابن جني: «هذا موضوع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير أن أبا على رحمه الله كان يستعين به ويخلد إليه من إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمه... إنما هذا التقليب لنا نحن... الخ. انظر: ابن جني: الخصائص: 490/1

(1) ابن جني ، الخصائص : 492/1.

اجتمع - وقوله تعالى:{ } [2] أي جمع، ومنها (السوق) وذلك لأنه استحثاث وجمع للمسوق بعضه إلى بعض»[3] .

قال بعد أن ذكر كلام الخيل وسيبويه في هذا المجال: «ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه، ومنهاج ما مثلاه. وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير؛ نحو الزغزغة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقعة... والقرقرة. ووجدت أيضاً (الفعلي) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة، نحو: البشكى، والجمزي، والولق [5] .. فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر أعنى باب القلقلة، والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها [6] .

وعن العلاقة بين المباني والمعاني، وكيف يوحي صوت اللفظ بمعناه، يسوق ابن جني كثيراً من الآراء؛ محاولاً أن يربط من خلالها أجراس الحروف بالدلالة.

ومن ذلك أن صيغة الفعل المكرر العين، نحو: نشر، وقطع، وغلق، لها علاقة بمعناه؛ وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، ومن ثمة خصوا عين الفعل بالتقوية عن طريق التكرار «لأنها واسطة لهما ومكنوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها ومبذولان للعوارض دونها»[1].

وبهذا استطاع ابن جني أن يكشف لنا عن المناسبة الوثيقة بين صيغة (فعل) بما لها من سمات صوتية، ودلالتها على التكرار والمبالغة في الحدث، وهو واضح في أن زيادة المبني فيه قد ناسبت زيادة المعنى، وهو إرادة المبالغة.

ومن ذلك أيضاً قوله إن العرب كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها. فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء، والقضم

---

(2) سورة الانشقاق: الآية 17.

(3) ابن جني: الخصائص: 491/1. وقد يتبادر إلى الذهن أن صلة الاشتقاق الأكبر بالظاهرة مدار البحث غير قوية، إلا أنه بفكرة التقاليب التي تدور حول معنى واحد بلطف الصيغة والتأويل يعطي مؤشراً على ولع ابن جني بفكرة المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله، فالحروف أو الأصوات مهما كان ترتيبها تجتمع في رأية على معنى واحد، ولو سلمه ذلك إلى التعسف في التأويل. انظر: عبد الكريم مجاهد: العلاقة بين الصوت والمدلول، ص73

(5) الولْق: الإسراع . البُشْكى : ضَرْبٌ من الْمَشْي . (الْجَمْزُ) ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ أَشَدُّ مِنَ الْعَنَقِ.

(6) ابن جني: الخصائص: 505/1

(1) ابن جني: الخصائص: 507/1.

للصلب اليابس. وتعليل ذلك في رأي ابن جني «أن العرب اختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث[2].

ومثل ذلك: النضح للماء ونحوه: والنضخ لما هو أغلظ وأثقل، لأنهم جعلوا الحاء - لرقتها - للماء الضعيف: والخاء - لغلظها - لما هو أقوى منه[3]. وفي القرآن الكريم: { }[4]. أي فوراتان غزيرتان، فاستخدام الخاء للدلالة على المقصود.

ومن ذلك: القد طولاً، والقط عرضاً، وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال، فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض؛ لقربه وسرعته، والدال المماطلة لما طال من الأثر، وهو قطعه طولاً[1] .

ولم يقتصر الأمر عند ابن جني على فونيم الحرف. وإنما جعله أيضاً في فونيم الحركات، يقول: الذل في الدابة، ضد الصعوبة، والذل للإنسان وهو ضد العز. وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان، والكسرة للدابة، لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدراً مما يلحق الدابة، واختاروا الضمة لوقتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة»[2] . وهو بهذا يجعل من الضمة والكسرة فونيمين يوجه كل منهما المعنى ويخصصه.

ويذهب ابن جني إلى أكثر من ذلك في عقد الصلات بين جرس الحروف وترتيب الأحداث بناءً على ترتيب أصواتها في الكلمة، فهو يقول: «نعم، ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر والحكمة أعلى وأصنع، وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه؛ سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب، وذلك قولهم: بحث. فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصلحها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض. والثاء للنفث، والبث للتراب. وهذا أمر تراه محسوساً محصلاً، فأي شبهة تبقى بعده، أم أي شك يعرض على مثله»[3] .

---

(2) المرجع السابق : 509/1.

(3) المرجع السابق : 509/1.

(4) سورة الرحمن: آية 66.

(1) ابن جني: الخصائص: 509/1.

(2) ابن جني: المحتسب: 18/2.

(3) ابن جني: الخصائص: 512/1.

ويلاحظ هنا أن أحداث المعنى تبني على ترتيب أصوات الحروف، فكل معنى يتقابل مع صوت، وتتابع أحداث الفعل تبعاً لتوالي الأصوات. فأول مرحلة من مراحل البحث عن شيء قوبلت بالباء التي تحكي هذا الفعل بصوتها أو بجرسها، والمرحلة الثانية من مراحل البحث تقابلها (الحاء) التي تصور بجرسها حركة اليد أثناء غوصها في التراب. وأما المرحلة الثالثة وهي تحريك التراب وتفريقه هنا وهناك فتعبر عنها (الثاء).

ومن ذلك - والكلام لابن جني - قولهم: شد الحبل ونحوه. فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشد والجذب، وتأريب العقد، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين، لا سيما وهي مدغمة، فهو أقوى لصنعتها وأدل على المعنى الذي أريد بها[(1)] .

ومن ذلك أيضًا جر الشيء يجره؛ قدموا الجيم لأنها حرف شديد، وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعاً، ثم عقبوا ذلك بالرّاء، وهو حرف مكرر، وكرروها مع ذلك في نفسها، وذلك لأن الشيء إذا جر على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها، واضطرب صاعداً عنها، ونازلاً إليها، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق[(2)] .

وخلاصة الأمر أن البحث في دلالة الأصوات عند ابن جني قد اتجه إلى جهتين متكاملتين:

الأولى: النظر إلى صفة الحرف ومخرجه، وحاله من حيث التفخيم، والترقيق، والشدة والرخاوة، والجهر والهمس، والإطباق والانفتاح، والاستعلاء، (والاستطالة والتفشي)[(3)] وغير ذلك، ثم بحث العلاقة بين هذه الأحوال والصفات وبين الدلالة والوضعية للكلمة.

الثانية: النظر إلى دلالة الكلمة باعتبارها تركيباً صوتياً له بنية وهيئة بعينها، بحيث يبحث العلاقة بين طريقة تركيب أحرف تلك الكلمة، ومناسبة ذلك التركيب وتلك الهيئة للمعنى الذي وضعت له الكلمة[(1)].

---

(1) ابن جني: الخصائص: 513/1

(2) المرجع نفسه : 513/1

(3) الاستطالة لغة : الامتداد، وقيل: بعد المسافتين. واصطلاحاً : امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها حتى تتصل بمخرج اللام .التفشى : معناه لغة: الانتشار، وقيل: الاتساع واصطلاحاً: انتشار الريح فى الفم عند النطق بحرفه، حتى يتصل بمخرج الظاء. انظر : على الله بن علي أبو الوفا : القول السديد في علم التجويد ، الناشر: دار الوفاء – المنصورة ، ط 3، 1424 هـ - 2003 م ، 1/ 175.

(1) ابن جني : مقدمة المحقق: 20/1

ومن هذه الإرهاصات الإشارة إلى ما بين الأصوات ومعانيها من صلات، والظن - لا الاعتقاد - أن في طوائف من الألفاظ، لا في اللغة كلها، دلالات تكشفها الأصوات ومعاني توضحها المباني، وأبرز هذه الطوائف أسماء الأصوات[2].

يقول ابن فارس في مادة (أح) : « وللهمزة والحاء أصل واحد، وهو حكاية السعال وما أشبهه من عطش وغيظ»[3]. وفي هذا القول ينبه ابن فارس على أن اللفظة تحكي صوت السعال، كأنما كانت العرب تدرك ما في اللفظ من كشف عن المعنى، أو كأنما تعمدت أن يكون لهذا الصوت هذا المعنى[4].

ويقول في مادة (صل): « صلَّ اللّجَامُ وغيره إذا صوت. فإذا كثُرَ ذلك منه قيل: صَلصَل، وَسُمِّيَ الْخَزَفُ صَلْصَالًا لِذَلِكَ ; لِأَنَّهُ يُصَوِّتُ وَيُصَلْصِلُ »[5]. وهو بهذا يؤكد ما ذكره الخليل، الذي سمي التثقيل في (صل) مداً، والتضعيف في (صلصل) ترجيعاً.

وذهب ابن فارس إلى أن أكثر الكلمات الدالة على الأصوات حكايات، أي: ألفاظ يفهم معناها من مبناها، فيقول: « فأما الأصوات فقد تكون قياساً - أي اشتقاقية - وأكثرها حكايات، فيقولون: قرقرت الحمامة قرقرة وقرقريراً »[6].

ولعل أكثر لغويي العربية وضوحاً بعد هؤلاء في مجال العلاقة بين الصوت والدلالة جلال الدين السيوطي (ت911هـ) الذي استوعب آراء سابقيه، فعقد في «مزهره» حديثاً عن المناسبة بين اللفظ ومدلوله، وذلك في المسألة العاشرة من الفصل الأول من الكتاب المشار إليه[1].

ومن أجمع كلماته للموضوع قوله: «وإما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني»[2].

---

(2) انظر: غازي طليمات: أحمد بن فارس اللغوي - دراسة في آرائه اللغوية والنحوية، ص109.

(3) نفسه.

(4) ابن فارس: مقاييس اللغة: 9/1.

(5) انظر: غازي طليمات: أحمد بن فارس اللغوي – دراسة في آرائه اللغوية والنحوية، ص109.

(6) المرجع نفسه: 8/5.

(1) انظر :جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) ،المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، المحقق: فؤاد علي منصور ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1، 1418هـ 1998م ، عدد الأجزاء: 2 ، 40/1 – 45.

(2) المرجع نفسه: 47/1.

وفي ثنايا حديثه أشار السيوطي إلى آراء اللغويين الذين سبقوه، كابن جني، والكسائي، وابن دريد، ثم ختم عرضه لهذه الآراء بملاحظة يقول فيها:«فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني؛ فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتاً؛ وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً ومن ذلك المد والمط؛ فإن فعل المط أقوى، لأنه مد وزيادة جذب، فناسب الطاء التي هي أعلى من الدال»[3] .

ثانياً: علاقة الصوت بالمعنى عند علماء البلاغة:

أما علماء البلاغة العربية فقد نظروا إلى الكلمة بما لها من قيمة جمالية، واستغرقتهم أمداً طويلاً قضية الكلمة ودلالتها وقيمتها التعبيرية، في ما يعرف في تاريخ البلاغة العربية بقضية اللفظ والمعنى، بما لها من صلة بقضية الإعجاز القرآني[4].

وقد عرض ابن الأثير (ت 637هـ) لفكرة العلاقة بين اللفظ والمعنى، وذلك ضمن نوع من الفصاحة والبلاغة لديه، سمّاه: (في قوة اللفظ لقوة المعنى)[1]، فدرس العلاقة بين المبنى والمعنى، ووضع لها من الضوابط والقواعد ما يوحي بسعة أفقه في هذا الباب وعمق دراسته[2].

فهو يرى أن نقل اللفظ، والعدول به من وزن إلى وزن آخر أكثر حروفاً منه لا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً. ويعلل ذلك بقوله: « لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه؛ لبيانه. وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة»[3] .

أما الدراسات البلاغية المتقدمة بدءاً من ابن سنان وانتهاء بالطيبي، والقزويني حذا حذوهما، فقد بحثت هذه العلاقة تحت ما اصطلحوا على تسميته بالفصاحة.

---

(3) انظر هذه المسألة في المزهر: 53/1.

(4) انظر: حلمي خليل: الكلمة – دراسة لغوية معجمية، ص26.

(1) انظر: ابن الأثير: المثل السائر: 241/1–247.

(2) عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص39.

(3) ابن الأثير: المثل السائر: 241/2.

ولعل ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) من أوائل علماء البلاغة العربية الذين اهتموا بالجانب الصوتي والدلالي للكلمة بما لها من صلة بمفهوم البلاغة والفصاحة، وذلك بشكل منهجي واضح، فقد أقام كتابة (سر الفصاحة) على أساس التفرقة بين مفهوم البلاغة والفصاحة[4]. ولذلك يقول: «والفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني»[5].

ثم حاول أن يحدد المفهوم الدقيق لفصاحة الكلمة فقال: «إن الفصاحة على ما قدمنا، نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف، وبوجود أضدادها تستحق الأطراح والذم. وتلك الشروط تنقسم إلى قسمين: فالأول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرداها من غير أن ينضم إليها شيء من الألفاظ وتؤلف معه. والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظمة بعضها مع بعض»[1].

على أن مما تجدر الإشارة إليه هنا أن شروط فصاحة الكلمة كما تصورها ابن سنان، وكما سلم به كثير من علماء البلاغة بعد ذلك، ووضوعها في قاعدة عامة هي: خلوص الكلمة من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي»[2].

ومثل هذا التصور للكلمة نجده أيضاً عند عبد القاهر الجرجاني (ت 417 هـ) على الرغم من هجومه الشديد على فكرة فصاحة اللفظة المفردة التي نادى بها ابن سنان، فهو في مواطن كثيرة من «دلائل الإعجاز» «وأسرار البلاغة» يكرر القول في إبطال أن يكون مرد الفصاحة إلى اللفظة

(4) عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص40.

(5) انظر: حلمي خليل: الكلمة – دراسة لغوية معجمية، ص26.

(1) ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص54. انظر هذه الشروط ص54 وما بعدها.

(2) انظر: القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ص24.

المفردة، أو الدلالـة، وإنمـا مردهـا عنـده إلـى الـنظم أو مـا نسـميه الأسـلوب وخصـائصـه وطريقـة تركيبه[3].

ثالثاً: العلاقة بين الصوت واللفظ عند علماء الكلام والمنطق العرب:

لـم يقتصـر بحـث فكـرة العلاقـة بـين الصـوت والدلالـة علـى اللغـويين والبلاغيـين، ولكـن تجاوزهم إلى من كان لهم اهتمام بعلم الكلام والأصول والمنطق والفلسفة والطب وغيرها.

فقد ذهب عباد الصيمري[1] (ت250هـ) إلى وجود صلة طبيعية بين اللفظ ومعناه، واحتج بأن واضع الألفاظ إزاء المعاني لم يضعها اعتباطاً، وإنما اختار لكل لفظ معناه الذي توحي به أصواته[2]. يقول جلال الدين السيوطي: « نقل أهل أصول الفقه عن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلـة أنـه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلولـه مناسبة طبيعية حاملة للواضـع علـى أن يضـع؛ قال: وإلا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحاً من غير مرجح. وكان بعض من يرى رأيـه يقول: إنـه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيهـا، فسئل مـا مسمى «إذعاغ»، وهو بالفارسية: الحجر، فقال: أجد فيه يبساً شديداً، وأراه الحجر»[3] . وجمهـور الأصـوليين ضـد مقالـة الصـيمري، ويدللون على فساد رأيه بقولهم: «لو ثبت ما قاله لاهتدى كل إنسان إلى كل لغة، ولما صـح وضـع اللفظ للضدين؛ كالقرء للحيض والطهر، والجون للأبيض والأسود» [4].

---

(3) انظر: فايز الداية: علم الدلالة العربي – ال والتطبيق، ص18. وانظر: أحمد قدور: مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي، ص83

(1) هو "عباد" بن سليمان الضمري من كبار المعتزلة وبينه وبين عبد الله ابن سعيد بن كلابة مناظرة وكان في أيام المأمون وهو الذي زعم أن بين اللفظ والمعنى طبيعة مناسبة فردوا عليه ذلك وكان أخذ عن هشام بن عمرو وكان أبو علي الجبائي يصفه بالحذق قاله ابن النديم في الفهرست وقال ابن حزم في الملل والنحل كان يقول إن الله لم يخلق الكفر ولا الإيمان. انظر : بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) : لسان الميزان ، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ط2 1390هـ /1971م ، عدد الأجزاء: 7 ، 3/ 230.

(2) انظر: المرجع نفسه، ص218.

(3) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: 47/1.

(4) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: 47/1.

المطلب الثاني: آراء علماء العربية المحدثين .

أحمد فارس الشدياق[1] ؛ فقد ألف عدة كتب كان جل اهتمامه فيها منصباً على العلاقة بين الأصوات ودلالاتها، وأبرز هذه الكتب كتابه « سر الليال في القلب والإبدال » الذي خصص - كما يظهر من عنوانه - لمسائل القلب والإبدال[2] . وهذا الكتاب تكمن أهميته في أمرين: أحدهما مقدمته التي ضمنها الشدياق حديثاً عن مناسبة أصوات الهجاء لمعانيها، والثاني إشارته فيه إلى كتاب اسمه «منتهى العجب في خصائص لغة العرب»، قال عنه إنه ناقش فيه دلالة الأصوات الأبجدية [3].

كما أشار إليه الشدياق في كتابه المشهور «الساق على الساق»، وذكر في مقدمة هذا الأخير «أن كل حرف يختص بمعنى من المعاني دون غيره، وهو من أسرار اللغة العربية التي قل من تنبه لها، وقد وضعت لهذا كتاباً مخصوصاً سميته (منتهى العجب في خصائص لغة العرب) [4].

وقد ناقش أحمد فارس الشدياق العلاقة بين الحرف والمعنى الذي يرمز إليه، وتناول الحروف واحداً واحداً، ونبه على المعاني التي يوحي بها كل حرف: «فمن خصائص حرف (الحاء) - على سبيل المثال- : السعة والانبساط نحو: الابتحاح والبداح والبراح والأبطح... والساحة والسطح والسفح والسماحة ...» ومن خصائص حرف (الدال): اللين والنعومة والغضاضة، ويلحق به من الأمور المعنوية، الرغد والمجد وغير ذلك ، كما يشتمل حرف (الدال) أيضاً على ألفاظ كثيرة تدل على القوة والصلابة والشدة، نحو: التأكيد والجلمد والحديد... الخ[1].

---

(1) احمد الشدياق (1084- 1887 م) احمد فارس بن يوسف بن منصور بن جعفر ابن فهد الشدياق. ، اديب، لغوي، ولد في عشقوت من قرى كسروان بلبنان، من أسرة مارونية، ثم انتقل مع والده إلى الحدث، فاستوطنها، ثم تعلم في مدرسة عين ورقة، ثم سافر إلى مصر، ومالطة، وتونس وأوربا، وأسلم وسمي أحمد فارس، وتوفي بالقسطنطينية، ونقل جثمانه إلى لبنان.من تصانيفه: منتهى العجب في خصائص لغة العرب، والساق على الساق. انظر : عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين : 2/ 42.

(2) انظر: صالح سليم عبد القادر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص42.

(3 انظر: المرجع نفسه، ص42.

(4) أحمد فارس الشدياق : الساق على الساق، ص12.

(1) أحمد فارس الشدياق ، الساق على الساق : 65/1 ، 66.

ولعل الشدياق متأث في هذه الفكرة بابن جني الذي ذهب إلى ذلك في الباب المعنون بـ (قوة اللفظ لقوة المعنى) في كتابة «الخصائص»، حيث يقول: «فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به»[2].

أما عباس محمود العقّاد[3]، فلإيمانه بالدلالة الصوتية الطبيعية للحروف، لم يكتف بما كتبه إليه الشاعر رشيد سليم الخوري من أن «الحاء تكاد تحتكر أشرف المعاني وأقواها: حب، حق، حرية، حياة، حسن حركة، حكمة، حلم، حزم»[4]، ولا بما لاحظه أحد كبار المحامين، وهو نجيب برادة، من أن «الحاء أظهر الحروف أثراً في الإيحاء بمعاني السعة؛ حسية كانت أو فكرية، ويعمم الحكم فيسوي بين موقع الحاء في أول الكلمة وموقعها في وسطها أو آخرها» [5].

وعرض محمد الأنطاكي للدلالة الصوتية عند الأمم المختلفة، ومنذ عصورها الأولى وحتى عصرنا الحالي، ثم ذكر أن «أكثر الفلاسفة القدماء، والمحدثين، ومعهم علماء اللغة أيضاً يذهبون إلى عكس ما ذهب إليه هيرقليطس[6] تماماً؛ إذ يرى هؤلاء أن العلاقة بين اللفظ ومدلوله اعتباطية اصطلاحية»[7].

ثم عاد فاعترف في موضع آخر بوجود عدد كبير من الشواهد لا يمكن تجاهلها، وهي تشير بما لا يدع مجالاً للشك إلى وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ والمعنى[1].

وأول من تعرّض من المحدثين لهذا في القرآن هو سيد قطب، ولم يفد من منهج ابن جني الذي اعتمد معطيات فقه اللغة في معرفة طبيعة الأصوات، فهو يقف عند الآية:{ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ }[2] ، ويقول: «على أنّ لفظة «الزّقوم» نفسه يصوّر بجرسه ملمساً خشناً شائكاً مدبّباً

---

(2) ابن جني: الخصائص: 468/2.

(3) عباس محمود العقاد ، وهو أديب، ومفكر، وصحفي، وشاعر، مصري، وعضو في مجمع اللغة العربية، ساهم بشكل كبير في الحياة الأدبية والسياسية، وأضاف للمكتبة العربية أكثر من مائة كتاب في مختلف المجالات. من مؤلفاته (عبقرية محمد) و (عبقرية خالد) و (عبقرية عمر) ، انظر : الزركلي ، الأعلام : 3/ 266.

(4) عباس محمود العقاد : أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، ص43.

(5). عباس محمود العقاد : أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، ص44

(6) فيلسوف يوناني قبل سقراط. تأثر بأفكاره كل من سقراط و أفلاطون و أرسطو. قال بأن النار هي الجوهر الأول، ومنها نشأ الكون. ولا يعرف المؤرخون عن حياته إلاّ القليل.

(7) محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص350.

(1) محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص357.

(2) سورة الواقعة، الآية: 52.

يشوك الأنف بله الحلوق»[3].فقد غلّف حكمه بالذوق الشّخصي، ولم يحتكم إلى منهج موضوعي، ولو أنه احتذى حذو ابن جني، لتجنّب هذا التلميح الخفيّ، ولقال بقوة القاف الحرف المجهور الشديد، خصوصاً إذا كان مدغماً، وهناك الوقوف على الميم الذي «تنطبق الشفتان انطباقاً تاماً عند النطق به، فيحبس الهواء حبساً تاماً في الفم»[4] ، وهذا الحبس يلائم اختناق آكل هذا الطعام، وانسداد حلقومه، ويلائم القاف معالجة اللقمة غير السائغة بشدته وتكرره. ومثل هذا الإيحاء يلمسه قطب في لفظه «يصطرخون»، وذلك في قوله تعالى{ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ } [5].

يقول: (ثم ها نحن أولاء يطرق أسماعنا صوت غليظ محشرج مختلط الأصداء، متناوح من شتّى الأرجاء، إنه صوت المنبوذين، وجرس اللفظ نفسه يلقي في الحسّ هذه المعاني جميعا)[6].

فهو يكتفي بذكر الأثر النفسي، ولا يذكر الوشائج القائمة بين الصوت والمعنى، وهذا التأمّل الذاتي عادة جارية في كتبه وهو على جاري عادته يولع بالعبارات الفضفاضة، والألفاظ الرّنانة التي لا تفيد إلا بكونها مفتاحا لتذوق آخر يعتمد المنهج العلميّ، ولعلّه يريد شدّة الصاد الذي يجاور كلّا من الطّاء والراء، وكذلك الخاء، فيوجد أربعة حروف احتكاكية تقوم بدور حسّي يصوّر معالجة النار لأجسادهم.

ولقطب وقفات كثيرة في هذا المضمار، وذلك لأنّ موسيقى اللفظ في منظوره عنصر من عناصر التصوير، وهذه الموسيقى المصوّرة لا تقتصر على نوعية الحروف، بل تشتمل على التّشكيل الناتج عن الحركات والمدود، فهو يقول في بداية تفسير سورة الواقعة: [1] : «ولفظة

---

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن مج/6، ص3465.

(4) بشر، د. كمال، علم اللغة – الأصوات – ص 167.

(5) سورة فاطر، الآية: 37 يصطرخون: يستغيثون بصراخ قوي.

(6) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مج/4، ج/22، ص2520 وانظر قطب، سيد، مشاهد القيامة، ص101، ومتناوح: متقابل.

(1) سورة الواقعة، الآيتان، 1-2.

الواقعة بما فيها من مدّ، ثم سكون، أشبه بسقوط الجسم الذي يرفع، ثم يترك، ليقع فينتظر له الحسّ فرقعة ورجّة» [2].

فجمالية التصوير باللفظ تعتمد على هذا المدّ الطويل قبل القاف، مما يبعث على تصوّر وقوع جسم بعد ارتفاعه، ونظرة قطب لا تخلو من إثارة هذا التصوّر، على الرغم من أن «واقعة» نفسها تدلّ على السّقوط . وقد اطّردت عنده مثل هذه الإثارة في تفسير أسماء يوم القيامة، الصاخّة والطامّة والقارعة والحاقّة، وكل هذه المفردات مصوّرة بجرسها.

وينبّه أحمد بدوي إلى هذه الجمالية قائلًا: «وهناك عدد كبير من الألفاظ تصوّر بحروفها، فهذه الظّاء والشّين، في قوله تعالى: { إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ } [1] ، والظّاء في قوله تعالى:{ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} [3] ، والفاء في قوله تعالى: { إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا }[4] ، حروف تنقل إليك صوت النار مغتاظة غاضبة، وحرف الصّاد في قوله تعالى:{ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ }[5] ، يحمل إليك صوت الريح العاصفة، كما تحمل الخاء في قوله سبحانه: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[6] إلى أذنك صوت الفلك تشقّ عباب الماء» [7]. ويقف أحمد بدوي عند الآية الكريمة:{إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} [1] فلا يجد الشّدة إلا بوجود الطّاء في الكلمة الأخيرة، ولا يعنى بالتركيب الكلي للمفردة، يقول: «تجد كلمة العبوس قد

(2) قطب، سيد، مشاهد القيامة، ص108.

(1) سورة الرحمن، الآية،: 35، والشواظ: اللهب.

(3) سورة الليل الآية: (14).

(4) سورة الفرقانالآية: (12)

(5) سورة القمر الآية: (19).

(6) سورة فاطر الآية: (12)

(7) بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن، ص69.

(1) سورة الإنسان الآية: (10).

استعملت أدقّ استعمال لبيان نظرة الكافرين إلى ذلك اليوم، فإنهم يجدونه عابسا مكفهرّا، وما أشدّ اسوداد اليوم .. وكلمة «قمطريراً» بثقل طائها مشعرة بثقل هذا اليوم» [2] .

ولم يقف بدوي إلا عند هذه المفردات، فهو مقلّ كمّا، وأكثر معيارية من قطب، وذلك لأنّه عقد فصلا واحدا لجمال المفردات ضمّنه معظم وجوه الحسن في المفردة، وهو كما رأينا لا يضيف الطاقة النفسية أو الإسقاط الشخصي، كما صنع قطب.

وقد أشار الرافعي إلى العلاقة القريبة بين المعنى في النفس، وبين تجلّيه في الحروف والحركات، يقول: « ليس يخفى أنّ مادّة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته، إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدّا أو غنّة أو ليناً أو شدّة، وبما يهيّئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النّفس من أصولها» [3] .

ويتّضح لنا أنه يركّز اهتمامه على الحركات من غير الحروف، وهذا المعنى متكرر في بحثه، وهو يرى أن الحركات تصوّر الحالات النفسية في جميع مظاهرها، ولم يذكر الطبيعة، وكذلك لم يترجم مثل هذا الكلام إلى تطبيق تحليلي لمفردات القرآن.

يتحدث صبحي الصالح عن جمال المفردة في فصل الإعجاز من كتابه «مباحث في علوم القرآن»، ويخصّص صفحات ثلاث للمفردات المصوّرة بأصواتها، إذ يقول: «تكاد تستقلّ بجرسها ونغمها بتصوير لوحة كاملة يكون فيها اللون زاهياً أو شاحباً، والظّلّ شفيفاً، فحين تسمع همس السين المكررة تكاد تستشفّ نعومة ظلّها، مثلما تستريح إلى خفّة وقعها في قوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوارِ الْكُنَّسِ، وَاللَّيْلِ إذا عَسْعَسَ، وَالصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ» [1]، بينما تقع الرهبة في صدرك وأنت تسمع لاهثاً مكروباً صوت الدال المنذرة المتوعدة مسبوقة بالياء المشبعة المديدة في لفظة «تحيد» بدلًا من تنحرف أو تبتعد، في قوله:(فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ } [2] .

---

(2) انظر : بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن : ص58، شرف، د. حفني محمد، الإعجاز البياني، ص223.

(3) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط8 - 1425 هـ - 2005 م ، دط ، ص215.

(1) سورة التكوير، الآيات: 15.

(2) الصالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين ط24 ، 2000م ، ص335.

قول عن لفظة « يتجرّعه »: «وما أحسب شفتيك إلا منقبضتين استقباحاً واستهجاناً لحال الكافر الذي يتجرع صديده، ولا يكاد يسيغه، فتستشعر في لفظة التجرّع ثقلًا وبطئاً يدعوان إلى التّقزّز والكراهية» [3] .

والباحث لا يدّعي تصوير المشهد بالصّوت، بل يكتفي بلفتة الزمخشري النّفسية، وهذا الثّقل أو الشّدة موطنه في قوة الجيم والرّاء، والأخير متكرر بطبعه، وهو مضعّف هنا، وتعطي العين الاحتكاكية شيئا من مظهر التقزّز الحسي، فهذا التشكيل الصوتي يجسّد صعوبة دخول الصّديد، وليس في المفردة حرف ليّن أو هامس.

والجديد عند صبحي الصالح أن عملية التجسيم هذه لا تقتصر على معاني القوة والبطش والتهديد، فهو يتحدث في المكان نفسه عن همس السين التي ناسبت موقف تصوير الصبح في سورة التكوير.

وهنالك وقفات متناثرة لعبد الكريم الخطيب حول هذه الجمالية، وهو لا يجمعها تحت عنوان معيّن، بيد أنّها غنيّة المضمون، غزيرة في استكشاف الإيحاءات، وكما قلنا سابقا إنه لا يقف عند مفردة واحدة، بل يفتّش عن معنى الآية المتجسّد في توالي أصوات مناسبة، ولا يدّعي أكثر من المناسبة كما هي الحال عند صبحي الصالح، فالأمور ظنّية وليست قطعية غامضة، كما ورد في أسلوب قطب.

---

(3) الصالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين ط24 ، 2000م ، ص336.

المبحث الثالث

مجالات وصور التعالق (الأنوماتوبيا) كما يراه علماء العربية .

يهدف هذا المبحث إلى بيان المجالات والصور التي تتجلى فيها التعالق بين الصوت والمعنى كما رآه علماء العرب، والحديث عن هذا المبحث سوف يكون - بمشيئته تعالى- من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الصوت والحرف والفرق بينهما.

المطلب الثاني: زيادة المباني وأثرها على زيادة المعاني.

المطلب الثالث: خصائص الحروف وأثرها على المعنى.

المطلب الرابع: المجانسة والإبدال في المباني وأثره في المعاني.

المطلب الأول : مفهوم الصوت والحرف والفرق بينهما .

أولاً : مفهوم الحرف والصوت لغة :

الحرف من كل شيء: طرفه وشفيره وحده، ومن ذلك حرف الجبل، وهو: أعلاه المحدد، والحرف من الجبل: ما نتأ في جنبه منه، قال: والحرف أيضا في أعلاه، قال الفراء: جمع حَرْفِ الجَبَلِ: حِرَفٌ، كعِنَبٍ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ سِوَى طَلٍّ وطِلَلٍ، قَالَ: وَلم يُسْمَع غَيْرُهما[1] .

والحرف: واحد حروف التهجي الثمانية والعشرين، سمي بالحرف الذي هو في الأصل الطرف والجانب، قال الفراء[2]، وابن السكيت[3] وحروف المعجم كلها مؤنثة، وجوزوا التذكير في الألف [2].

" والحرف عند النحاة أي في اصطلاحهم: ماجاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وما سواه من الحدود فاسد ومن المحكم: الحرف: الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، كعن وعلى ونحوهما، وفي العباب: الحرف: ما دل على معنى في غيره ومن ثم لم ينفك عن اسم أو فعل يصحبه إلا في مواضع مخصوصة حذف فيها الفعل واقتصر على الحرف فجرى مجرى النائب، نحو قولك: نعم وبلى " [1] .

أما الصوت، قال ابن فارس: " الصاد والواو والتاء أصل صحيح، وهو الصوت، وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع. يقال: هذا صوت زيد. ورجل صيت، إذا كان شديد الصوت; وصائت إذا صاح. فأما قولهم: [دعي] فانصات، فهو من ذلك أيضاً، كأنه صوت به فانفعل من الصوت، وذلك إذا أجاب. والصِّيت: الذكر الحسن في الناس. يقال: ذهب صيته "[2] .

---

(1) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس: الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية ، الطبعة بدون تاريخ ورقم ، 23/ 128.

(2) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي صاحب الكسائي.يروي عن: قيس بن الربيع ، وعلي بن حمزة الكسائي. وكان ثقة. ورد على ثعلبة: أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية، ولسقطت . انظر : االذهبي (ت: 748هـ)سير أعلام النبلاء ، الناشر: دار الحديث- القاهرة ، 1427هـ-2006م ، 8/ 291.

(3) هو يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السكيت: إمام في اللغة والأدب.أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد. واتصل بالمتوكل العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، وجعله في عداد ندمائه . المرجع السابق :9/ 436.

(2) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : 9/ 12 ، الزبيدي ،تاج العروس : 23/ 128

(1) تاج العروس : 129/23 .

(2) مقاييس اللغة : 3/ 319 .

ثانياً: الحرف والصوت اصطلاحاً :

لم يرد في مادة الخليل الصوتية، ولم يكن من مصطلح العلم اللغوي إلا في القرن الرابع الهجري فقد ورد في مصطلح ابن جني " التصريف الملوكي ". فكلمة " حرف " تعني في مصطلح الخليل ما نعنية باستعمالنا كلمة صوت في عصرنا الحاضر ولنسمعه يقول: " فإذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها فانظر إلى حروف الكلمة فمهما وجدت منها واحدا في الكتاب المقدم فهو في ذلك الكتاب " [3].ويعد ابن جني أول من فرق بين الصوت والحرف ،

فيقول: " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلًا متصلًا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين، مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا. وتختلف أجراس الحروف، بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرساً ما، فإن انتقلت عنه راجعاً منه، أو متجاوزًا له، ثم قطعت، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف، فإنك إذا قطعت بها، سمعت هنا صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم، سمعت غير ذينك الأولين"[1].

فابن جني يفهم الصوت هنا -فيما يبدو- على أنه صوت ذبذبة الأوتار الصوتية، وإن لم يصرح بذلك. أما الحرف فإنه يرادف في كلامه، ما سبق أن سميناه بمخرج الصوت، وذلك واضح من قوله بعد ذلك: "الحرف حد منقطع الصوت وغايته" [2].

فالصوت عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن، ولا بُدَّ لدراسة هذه العمليات النطقية والآثار المصاحبة من أن تكون ملاحظة حسية، وأحيانًا معملية، للباحث فيها فضل الملاحظة والتسجيل[1].

---

(1) ابن جني ، سر صناعة الإعراب : دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، ط1 ، 1421هـ- 2000م ، عدد الأجزاء: 2 ، 1/ 19.

(2). ابن جني ، سر صناعة الإعراب : دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، ط1 ، 1421هـ- 2000م ، عدد الأجزاء: 2 ، 1/ 29

(1) رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي:، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ط3، 1417هـ - 1997م ، عدد الأجزاء: 1 ، 1/ 84.

فالصوت عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس، وعلى الأخص السمع والبصر، يؤديه الجهاز النطقي حركة، وتسمعه الأذن، وترى العين بعض حركات الجهاز النطقي حين أدائه. أما الحرف فهو عنوان مجموعة من الأصوات، يجمعها نسب معين [(2)].

وهذه التفرقة بين "الصوت" و"الحرف" على هذا النحو نتوصل بها إلى جعل "الحرف" مساوياً للاصطلاح الغربي: "فونيم"، أما القدماء من علماء العربية، فإنهم كانوا يستخدمون الكلمتين بمعنى واحد أحياناً، أو يفرقون بينهما تفرقة تختلف عما نعنيه نحن بهما هنا. وتصور "الفونيم" أو "الحرف" بالمعنى السابق تصور حديث جداً في علم اللغة، وفي علم الأصوات اللغوية، وكان الذي دعا العلماء المحدثين للقول به، أنهم لاحظوا أن أصوات أي لغة من اللغات، لا حد لها في واقع الأمر، وأن ما نسميه صوتاً واحداً، قد يتردد هو نفسه في كلمة من الكلمات، أكثر من مرة، ولكنه لا ينطق بنفس الصورة في كل مرة، فإننا إذا نطقنا كلمة مثل: "بَطَرَ"، فإننا نجد أن صوت الفتحة الأولى في هذه الكلمة، غير الفتحة الثانية، من الناحية الصوتية، وغير الفتحة الثالثة. ومع أن هذه الفتحات الثلاث متغايرة فيما بينها، فإن هذا التغاير لا يؤدي إلى تغير في وظيفة أي منها، فلا يكون للكلمة معنى معين إذا استخدمنا فيها فتحة من هذه الفتحات، ثم يتغير المعنى إذا غيرنا هذه الفتحة بفتحة أخرى [(3)].

المطلب الثاني : زيادة المباني وأثرها على زيادة المعاني .

يقوم هذا الأساس اللغوي على فكرة مفادها: انه كلما زاد اللفظ تغير المعنى، وبعبارة أخرى: كلما تغير اللفظ تغير المعنى ودلّ على تفريعات جديدة في مفهومه لم يدلّ عليها اللفظ في جذره الأصلي، ويوضح ذلك ابن جني عندما يجعل الأصوات تابعة للمعاني، فمتى قويت قويت ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك من ذلك قولهم: قطع وقطّع وكسر وكسّر زادوا في الصوت لزيادة المعنى واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه **[(1)]**، وهنا يلفت ابن جني انتباهنا إلى مسالة مهمة في فهم هذه الظاهرة، وهي أن المعنى هو العنصر المتحكم في البنية اللفظية وليس العكس كما يدل عليه الظاهر من قولهم (زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى)، فالمعنى هو الذي يستدعي اللفظ ويقتضيه، وكلما ازداد المعنى وتفرّع وتخصص وتكثر وتقوى استدعى تغييراً في اللفظ الأصلي

---

(2) انظر: اللغة بين الوصفية والمعيارية : ص 130.

(3) رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة : 1/ 85 ، 86 .

(1) ابن جني ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،بدون رقم الطبعة ، 1420هـ- 1999م ، 2/ 210.

لينسجم مع هذا التغير الجديد الحاصل، ولا يدلّ كلامه – كما ظن البعض- على إيمانه بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني، فهو لا يقول: إن معنى (الضرب) استدعت حروف (ض ر ب)، وإنما هو يقارن بين بنى متقاربة الأصوات مبيناً أن المعاني قد استدعت الاختلاف بينها ولم تستدع أصواتها، فهناك فرق بين استدعاء أصوات الكلمات واستدعاء التخالف بين الكلمات لكمال حكمة الواضع، إذ موقف (شرب الماء) غير موقف(شرب الدواء فاستدعى المعنى الأول لاختلافه عن المعنى الثاني التخالف بين الصيغتين ولم يستدع أصواتهما، فقالوا: جرع الماء وتجرّع الدواء، ولذا لا نجده يتكلم على هذه الظاهرة إلا عند المقارنة بين الألفاظ ، ولا يتحدث عن الألفاظ كلا على حدة[(2)]

ويجعل ابن جني هذه الفكرة ذات طبيعة منطقية عندما يقول:" فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به[(1)] .

وتلقف الصرفيون هذه الفكرة واخذوا يطبقونها على(معاني أبواب الزيادة فيجدون آثارها واضحة عند بيانهم الفرق بين المجرد ومعناه والمزيد فيه ومعناه، كأبحاثهم المشهورة في المزيد على الثلاثي المجرد بحرف، وحرفين ،وثلاثة أحرف، فقرروا أن المعنى في(اكتسب) أزيد من المعنى في(كسب) وأن معنى(اعشوشب) أزيد من معنى(عشب) وان معنى(قطّع) أقوى من معنى(قطع)...الخ[(2)].

ويلخّص الرضي ذلك بقوله:" اعلم أن المزيد فيه لغير الإلحاق لا بد لزيادته من معنى؛ لأنها إذا لم تكن لغرض لفظي كما كانت في الإلحاق ولا لمعنى كان عبثا، فإذا قيل مثلا: إن (أقال) بمعنى (قال) فذلك منهم تسامح في العبارة، وذلك على نحو ما يقال: إن (الباء) في (كفى بالله) و(من) في (وما من إله (زائدتان لما لم تفيدا فائدة زائدة في الكلام سوى تقرير المعنى الحاصل وتأكيده، فكان لا بد في الهمزة في(أقالني) من التأكيد والمبالغة [(3)]

كما انتقلت هذه الفكرة اللغوية لتجد لها مكاناً خصباً في حقل لغوي آخر هو علم النحو، فتوقف النحويون عند(حروف الزيادة) وأكدوا أنها تفيد معنى(التوكيد والتقوية والمبالغة)؛ لأن

---

(2) انظر: ابن جني، الخصائص : 2/ 163.

(1) ابن جني ، الخصائص: 3/ 273 .

(2) حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : ص 284

(3)الرضي ، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (ت: 686هـ): شرح الشافية : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان– 1975 م ، 1/ 83

زيادة المبنى دالة على زيادة المعنى، كما في قولنا: ما جاءني من احد، فحصروا حروف الزيادة في(إن وأن وما ولا ومن والباء) وذكروا أن دخولها لزيادة المعنى وتقويته وإلا كان ذلك عبثا من المتكلم[4]

فقد قرّر النحويون أن المقصود بالزيادة هنا الزيادة في العمل النحوي وليست الزيادة في المعنى[1]، ولذا ذكروا أن دخول هذه الزوائد في التراكيب السابقة أفاد التوكيد والتقوية لمضمون الكلام، وقد يتوهم البعض بأن الزائد يمكن حذفه ولا يؤثر في المعنى وهو غير مقصود لهم، وقد نشأ هذا الوهم من عدم اطلاع على دلالة مصطلح(الزيادة) ومفهومه عندهم، كما ظهرت هذه الفكرة عند النحويين في مباحث(اسم الإشارة) عندما عللوا الفرق بين(ذا، وذاك، وذلك) حيث ذكر ابن يعيش أن(ذا) إشارة للقريب، فإذا أرادوا الإشارة إلى متنح متباعد زادوا كاف الخطاب فقالوا: ذاك، فإن زاد بعد المشار إليه أتوا باللام مع الكاف فقالوا: ذلك، واستفيد باجتماعهما زيادة في التباعد لأن قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى[2]

وكل من الدراسات الصرفية والنحوية متفقة على أن الزيادة الطارئة على المبنى تصاحبها زيادة في المعنى، ولذا لا نراهم يتكلمون إلا على بنيتين أو تركيبين ثم يعقدون مقارنات بينهما لتتبين الزيادة الحاصلة في المعنى والمؤثرة في اللفظ، ويذكرنا هذا بالمقارنات التي عقدها المبرد للكندي عندما سأله عن الفرق بين: عبد الله قائم، وإن عبد الله قائم، ووالله إن عبد الله لقائم، حيث وضّح له بأن المعاني مختلفة فالأسلوب الأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال سائل متشكك، والثالث جواب عن إنكار منكر[3] فهذه التراكيب الثلاثة ليست ذات معنى واحد، وإنما هي تراكيب مختلفة الدلالة فيما بينها باختلافات دقيقة تراعي المقام وحال الخطاب، فكلما زاد المبنى داخل التركيب النحوي زاد معناه، إذ أصل المعنى وهو الإخبار عن القيام موجود في التراكيب الثلاثة لكن حدث تغيير دقيق في المعنى لتغير حالة الخطاب استدعت الزيادات التوكيدية واقتضت الإضافات الضرورية لتناسب المقام ومقتضى الحال، نستخلص من هذا العرض انه لكي

---

(4) الرضي ، شرح الكافية: تعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قابوس، دط 4/ 433.

(1)الرضي شرح الكافية : 4/ 432 ، التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)،كشاف اصطلاحات الفنون: تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم ، تحقيق: د. علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي ، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ط1 - 1996م ، 1/ 326.

(2) شرح المفصل للزمخشري : يعيش بن علي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: 643هـ) ،قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1422 هـ - 2001 م ، 2/ 365.

(3) القزويني ، التلخيص في علوم البلاغة ، ، ص 41، 42،

تكون الأمثلة التركيبية داخلة ضمن أساس زيادة (زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى) لا بد من وجود تركيبين متشابهين حصلت على أحدهما زيادة، فعندئذ ننظر إلى الفروق المعنوية الدقيقة الحاصلة نتيجة تلك الزيادة اللفظية، فإن حصلت زيادة معنوية على أصل المعنى فهي داخلة في هذا الأساس اللغوي، وإن لم تحصل زيادة على أصل المعنى بل اختلف المعنى كلياً وتغاير مع أصله فلا يكون داخلا ضمن هذا الأساس البتة، ولذا يقارن الصبان بين نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة الواردتين في قوله تعالى: (قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ)، حيث ذكر انه ": أكدت في الأول بالثقيلة لقوة قصدها سجنه وشدة رغبتها فيه، وفي الثاني بالخفيفة لعدم قوة قصدها تحقيره وإهانته وعدم شدة رغبتها في ذلك لما عندها من المحبة له [1] .

وانتبه الصرفيون إلى حدود هذا الأساس اللغوي العام فاعتبروه في مباحث دون غيرها، حيث استبعدوا الزيادات الصرفية الواقعة عند تغيير الصيغ من دلالة إلى دلالة أخرى أو من فئة صرفية إلى أخرى، كتحويل الماضي إلى مضارع وأمر، أو تحويل المبني للمعلوم إلى مبني للمجهول، أو تحويل اسم الفاعل إلى اسم المفعول أو الصفة المشبهة وسائر المشتقات الأخرى، لأن الزيادة الحاصلة عند التغيير ليست لزيادة المعنى الأصلي وإنما لتغييره وتبديله، فهناك فرق بين زيادة(اكتسب) على(كسب) وزيادة(يضرب) على(ضرب)، ففي الحالة الأولى تقوى المعنى وكثر وأما في الحالة الثانية فقد تبدل المعنى وتغير من دلالته الزمنية الماضوية إلى الزمن الحاضر أو المستقبل، ولكي يتأسس هذا المفهوم بشكل أكثر وضوحا نتوقف عند باب عقده ابن جني وسماه(تداخل الأصول الثلاثية، والرباعية، والخماسية) فقد نتسارع إلى الحكم بدخول بعض الألفاظ ضمن هذا الأساس نتيجة التداخل في المقارنة بين الصيغتين الاشتقاقيتين مع أنهما غير داخلين أصلا، فمثلا نسمع(رخو) و(رخود) ونعلم أن اللفظ الأول بمعنى(الضعف) واللفظ الثاني بمعنى(التثني) العائد إليه، فهو ضعف مع لازم من لوازمه، فنقول متعجلين: إن زيادة المبنى دلت على زيادة المعنى، فنحكم بإدخال الخارج في هذا المفهوم نتيجة إهمال الفرق بين الأصل الاشتقاقي للكلمتين السالفتين، إذ(رخو) أصلها(ر خ و) بينما (رِخْوَد) أصلها (ر خ د)[1] ونتيجة اتفاق التقارب الدلالي نخطأ في الحكم ونتعجل في البحث، نخلص من هذا إلى شرط أساسي آخر

---

(1) أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت: 1206هـ)حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك :، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، ط1، 1417 هـ -1997م

عدد الأجزاء: 3 ، 1/ 46.

(1)ابن جني، الخصائص : 2/ 44.

في هذا التأسيس المفهومي ينبغي مراعاته وهو اتفاق الكلمتين في الحروف المكونة لجذريهما حتى يمكن القول: إن زيادة المبنى دلت على زيادة المعنى. وكما نتعجل ونحكم بإدخال الخارج فقد نتسارع إلى الحكم بإخراج الداخل بمجرد قراءة ما أورده السيوطي من نقض لهذا الأساس بباب التصغير، فانه رأى أن زيادة الحروف فيه أدت إلى قلة المعنى، باعتبار أن تصغير الشيء بمعنى تقليله، فإذا قلت: رجل وصغّرته على (رُجَيْل) فان المعنى قد قلّ مع زيادة المبنى كما هو ظاهر، ولكنه نسي أن المعنى قد زاد بالتصغير؛ لأن المراد بالزيادة ليست الزيادة في جانب الكثرة فقط، فقد تكون الزيادة في جانب القلة أيضاً، كما نظّروا له في باب (أفعل الزيادة) مثل(أكرم وابخل)، فكلاهما دال على الزيادة [2]، فعندما نقول رجيل فقد حصلت زيادة في المعنى مقارنة بـ (رجل)

الدال على من جاوز حد الصغر وبلغ حد الكبر، و(رجيل) دال على ذلك مع مراعاة تحقيره أو تهوين شأنه وما إلى ذلك من أغراض يؤديها التصغير، وان كنت اعتقد أن التفرقة بين اللفظ (المكبر، والمصغر) لا يدخل ضمن هذا الأساس اللغوي، لان الزيادة فيه للتفرقة بين الفئات الصرفية كالزيادة بين الماضي والمضارع والأمر المؤدية إلى مجرد التغيير والتبديل للصيغة للدلالة على معنى مستحدث جديد دون ملاحظة تقوية المعنى الأصلي وتكثيره أو المبالغة فيه. وقد التفت اللغويون إلى إمكانية تطبيق هذا الأساس عند حدوث ما اصطلحوا عليه بـ(الانحراف) عن أصل الصيغة، فذكروا أن:" من تكثير اللفظ لتكثير المعنى المعدول عن معتاد حاله، وذلك(فعال) في معنى(فعيل) نحو طُوال فهو أبلغ من طويل وعُراض أبلغ من معنى عريض وكذا خُفاف من خفيف، ففُعال وإن كانت أخت فعيل في باب الصفة فان فعيلًا أخص بالباب من فُعال لأنه أشد انقيادا منه، تقول: جميل ولا تقول جُمال وبطيء ولا تقول بُطاء... فلما كانت فعيل هي الباب المطرد وأُريدت المبالغة عدلت إلى فُعال فضارعت فُعال بذلك فعّالا، والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله، أما فعّال فبالزيادة وأما فعال الخفيف فبالانحراف عن فعيل"[1]،

وبهذا الفهم لا تكون القضية مجرد عدد الحروف في اللفظتين اللتين تتم المقارنة بينهما، إذ جميل ووضيء مساوية في عدد الحروف لجمال ووضاء، لكن الانحراف عن الأصل الذي هو(فعيل) – كما تدل على أصليته كثرة الاستعمال- إلى (فعَّال) كان لأجل التشبيه بباب أكثر حروفاً ودالاً على المبالغة وهو باب(فعّال)، فهذا الانحراف لأجل التشبيه ببنية أكثر حروفاً جعلت هذه الصورة داخلة

---

(2) حاشية السجاعي على شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الإنصاري : ص 110 .

(1) انظر :ابن جني ، الخصائص: 3/ 270، وينظر : السيوطي ، الأشباه والنظائر: 1/ 181، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 285.

تحت هذا الأساس اللغوي العام، فكما أن اللفظ إذا زيد فيه شيء: " أوجبت القسمة به زيادة المعنى له، فكذلك إن انحرف به عن سمته وهديه كان ذلك دليلا على حادث متجدد له"[2] .

ونبه الحريري[1] على هذه الظاهرة اللغوية عند توقفه على التفرقة بين المذكر والمؤنث حيث بيّن أن من أصول كلام العرب إدخال الهاء في صفة المؤنث وحذفها في صفة المذكر كقولهم : قائم وقائمة وعالم وعالمة، إلا أنهم عمدوا إلى عكس هذا الأصل عند المبالغة في الصفة فألحقوا الهاء بصفة المذكر في المبالغة فقالوا لكثير العلم: علاّمة، وللمتسع في الرواية: راوية، وللمطلع على حقائق النسب: نسّابة، وحذفوا الهاء من صفة المؤنث في المبالغة فقالوا للمرأة الكثيرة الصبر والشكر: امرأة صبور وشكور، وللكثير الكسل والتعطّر: مِكسال ومِعطار، ليدلوا بتغيير الصفة عن أصلها الموضوع لها على معنى حدث فيها وهو المبالغة" [2]. نخلص من هذا إلى أن الصرفيين الأوائل فهموا زيادة المبنى ودلالته على زيادة المعنى أي عند إرادة المبالغة والكثرة والقوة والقرب والبعد، وليست حالات التفرقة بين الصيغ الصرفية والمشتقات الخالية من معنى المبالغة والزيادة، ولذا يكون (العدول) في باب التصغير عن القول(رجل حقير) إلى القول (رُجَيْل) يكون هذا العدول والانحراف عن الأصل ليس لزيادة المعنى والمبالغة فيه، وإنما لإرادة الاختصار كما نبّه عليه بعضهم بقوله: " الغرض من التصغير وصف الشيء بالصغر على جهة الاختصار" [3].

بقي في هذا التأسيس المفهومي لهذه القاعدة اللغوية أن هناك خلافا بين اللغويين في مدى قياسية هذه القاعدة، فذهب قسم إلى أن هذه القاعدة مطردة بمعنى: كلما زاد المبنى زاد المعنى وكلما كثر المبنى كثر المعنى وكلما قوي المبنى قوي المعنى حتى لا يلزم العبث في كلام الفصحاء، بينما كان ابن هشام الأنصاري يرى خلاف ذلك عندما أشار إلى رأي القائلين، بأن (سوف) أكثر مبالغة من (السين) في الدلالة على المستقبل لأنها أكثر حروفاً بقوله: " وكأن القائل

---

(2) انظر : ابن جني، الخصائص: 3/ 271.

(1) القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري(446 - 516 هـ = 1054 - 1122 م): الأديب الكبير، من كتبه " درة الغواص في أوهام الخواص – ط " و " ملحة الإعراب – ط " و " صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور " في التاريخ. و" توشيح البيان " نقل عنه الغزولي. وله شعر حسن في " ديوان " و " ديوان رسائل ". وكان غزير العلم. مولده بالمشان (بليدة فوق البصرة) ووفاته بالبصرة. ونسبته إلى عمل الحرير أو بيعه. وكان ينتسب إلى ربيعة الفرس .انظر : الزركلي ، الأعلام – دار العلم للملايين ، ط 15 – أيار / مايو 2002 م ، 5/ 177.

(2) انظر : أبو محمد الحريري البصري (ت: 516هـ) ، شرح ملحة الإعراب: دار السلام - القاهرة/ مصر ، ط1، 1426هـ -2005م ، عدد الأجزاء ، ص 49- 50.

(3)السيوطي، الأشباه في النحو : 1/ 54

بذلك نظر إلى أن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى وليس بمطرد" [1] وتكفّل الدسوقي ببيان عدم الاطراد بأن: "(حاذر) اسم فاعل و(حذِر) صيغة مبالغة فإنها تدل على الكثرة دونه، مع أن الثاني أقل حروفا من الأول" [2] وهذا فهم ظاهري لهذه القاعدة لأن الأمر ليس متوقفاً على عدد الحروف فقط - كما مر- بل قد يكون بين اللفظين تساو، أو يكون الدال على معنى المبالغة أقل حروفاً من الآخر؛ لان الانحراف عن أصل الصيغة الصرفية الدالة على اسم الفاعل يكون دليلًا على حصول معنى جديد أكثر مبالغة من أصله استدعى ذلك المعنى الجديد لفظاً منحرفاً عن وضعه الأصلي، ولا أحسب أن ابن هشام كان يريد هذا التمثيل بل ربما قصد الزيادة المؤدية إلى معنى التفرقة بين الصيغ الصرفية التي تحدث فيها زيادة على المبنى من غير زيادة على المعنى الأصلي، بل تغيير دلالة المعنى الأصلي كتحويل الماضي إلى مضارع وأمر...الخ، ولهذا تكون هذه القاعدة كلية مطردة وليست أغلبية إذا قيدناها بالشروط المذكورة سابقاً، ومن ثم أجاب الدسوقي مدافعاً عن كلية هذه القاعدة :" باشتراط أن يكون اللفظان من نوع واحد بأن يكون كل منهما اسم فاعل كصَدٍ وصَدْيان أو فعلًا ماضياً كقطَعَ وقطّعَ أو صيغة مبالغة كرحيم ورحمان" [3]، فالقاعدة كلية إن كانت بين لفظين من نوع واحد وأغلبية إن كانت بين لفظين من نوعين مختلفين، ولكن الانحراف عن صيغة صرفية كثيرة الاستعمال مطردة القياس إلى صيغة أخرى كان أمراً مذهولًا عنه عند كتابة هذه الحاشية.

ومن مراعاة هذا الأساس اللغوي أجهد المفسرون للقرآن الكريم أنفسهم في بيان أثر الزيادة الحاصلة في بعض الصيغ على صعيد المعنى، وعندما يعجزون عن إثبات ذلك في بعض الصور يقولون بأن هذا الأساس اللغوي أغلبي وليس كليا كما ظنه الرضي فيما تقدم من كلامه، فقد ذكر الصبان أن الفعل(فرّق) بالتضعيف والتخفيف في الأجرام والمعاني، وذكر أن أهل اللغة متواطئون على أن(كسّرته وكسرته) في المعاني والأجرام مطلقاً، ولكنه يجد في نفسه القدرة على التفرقة بين الفعل(فرّق) بالتضعيف الوارد في قوله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}[1]. والفعل (فرَق) بالتخفيف في

---

(1) ابن هشام (المتوفى: 761هـ) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله الناشر: دار الفكر – دمشق ، ط6 1958م ، 1 / 139.

(2) حاشية ابن هشام على مغني اللبيب: 1/ 150.

(3) ابن جني ، الخصائص : 1/ 150.

(1) الأنعام الآية: (159)

قوله تعالى: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} [2] بأنه:" أريد في الآية الأولى إفادة التكثير وإنما يؤتى بالمخفف إذا لم ترد تلك الإفادة، وفي الثانية: لما كان الماء جسماً لطيفاً شفافا فهو كالمعاني أتى فيه بالمخفف" [3] وكأن القاعدة الجارية تقول: مهما أمكن التأويل يعمل بهذا الأساس وإلا يحمل على عدم وجود الفرق بين الصيغتين عند العجز والقول بأن القاعدة أغلبية وليست كلية.

تبين مما سبق:

1- أن فكرة (زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى) قد ظهرت قديماً نتيجة بحوث الأوائل عن طبيعة العلاقة بين الصوت والمعنى، التي تذوّقها اللغويون في جمعهم لكلام العرب، وفسّرها بعض المنظرين بتفسيرات لا تزال محتاجة إلى ضبط مواردها وحصر صورها.

2- حاول الباحثون وضع الشروط العلمية لفكرة(زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى) التي شاعت في الدراسات الصرفية والنحوية، وان تعمقت في الدراسات الصرفية بشكل خاص، وأهم تلك الشروط .

- استبعاد حالات التفرقة بين الفئات النحوية المختلفة كتحويل المفرد إلى مثنى وجمع أو الماضي إلى مضارع وأمر، أو تحويل اسم الفاعل إلى اسم المفعول....الخ، من هذه الفكرة لأن الزيادة دخلت لتغيير المعنى وتبديله دون الزيادة والمبالغة فيه.

- الانتباه إلى التقارب الدلالي للأصول المختلفة المتداخلة، فيجب العمل على استبعادها من هذه الفكرة لضرورة اشتراك جذري الكلمة واتحادهما في الأصول المكونة لهما حتى يمكن القول إن المبنى زاد نتيجة زيادة المعنى.

- تحديد مفهوم(الزيادة في المعنى) بأن ليس المراد به الزيادة في جانب الكثرة فقط، بل الزيادة في جانب القلة أيضاً.

- تحديد مفهوم(الزيادة في المبنى) بأن ليس المراد مجرد إضافة حركات وحروف على الكلمة بل قد تتحقق الزيادة بالانحرف عن أصل الصيغة لأجل ذات الفكرة.

---

(2) سورة البقرة الآية: (50) .

(3) حاشية الصبان على شرح الأشموني: 1/ 30.

المطلب الثالث : خصائص الحروف وأثرها على المعنى .

من صور التعالق بين اللفظ والمعنى (الأونوماتوبيا) عند علماء العربية ذلك التقارب الذي يكون بين الكلمات في المعنى نتيجة توافق الحروف في الصفة، بحيث يمكن الاستدلال بمعنى معروف على معنى آخر؛ نظراً لوجود تقارب بين بعض حروف اللفظين في الصفات، فالحروف العربية تتميز بخصائص تجعل كل حرف له صفته المميزة له، والتي من خلالها يمكن وصف الحرف بصفات معينة ودراسته بصورة تفصيلية، ولا شك أن كل صفة يتميز بها الحرف عن غيره إنما هي أيضاً أختلافاً في المعنى، وكل تقارب في الصفة يؤدي إلى تقارب المعنى ، فلو وقفنا على كتاب الخصائص باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) نجد ابن جني يقول بأن تقارب الألفاظ ينتج عنه تقارب المعاني، فالهز والأز - على سبيل المثال- متقاربان في اللفظ ، ومتقاربان في المعنى [1]؛ يقول ابن جني: « من ذلك قول الله سبحانه : {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا} [2] ، في معنى تهزهم هزاً، والهمزة أخت الهاء ؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة،ونحو ذلك [3].

ويقول في (المحتسب) واعلم أن العرب تقارب بين الألفاظ والمعاني، إذ كانت عليها أدلة وبها محيطة.. ونحو من ذلك قولهم في تركيب: ع ص ر، ع س ر، ع ز ر، فالعصر شدة تلحق المعصور، والعسرة شدة الخلق، والتعزيز للضرب ، وذلك شدة لا محالة ؛ فالشدة جامعة للأحرف الثلاثة» [4] .

---

(1) انظر: ابن جني: الخصائص: 1/499-504.

(2) سورة مريم الآية: (83) .

(3) ابن جني: الخصائص: 1/499.

(4) ابن جني: المحتسب: 2/6.

المطلب الرابع : المجانسة والابدال في المباني وأثرها في المعانى .

أيضاً من الصور التي يتجلى فيها التعالق بين اللفظ والمعنى عند علماء العربية، هو تلك المجانسة والإبدال لحروف لفظ بحروف أخرى مجانسة لتلك الحروف المستبدلة، بمعنى أن يكون اللفظ مشتمل على حروف معينة ثم تستبدل هذه الحروف بحروف أخرى مجانسة لها في الصفة وموافقة لمبنى اللفظ الداخلة عليه، بحيث ينتج عنه جرساً صوتياً أكثر تعبير ودلالة.

والجرس الصوتي هو: " نوع من الموسيقى يوحي إلى الأذهان بمعنى فوق المعنى الذي تدل عليه الألفاظ " [1]، أو هو: " أن يأتي مسموع الأصوات على حذو محسوس الأحداث"[2]،

واللغة العربية من اللغات التي تنماز بهذه الخاصية، ومن أوائل الذين تنبهوا إليها من القدماء ابن جني في قوله: (كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمْتِ الأحداث المعبرَّ بها عنها فيعدلونها بها ويحتذُونها عليها)[3].

وقال في موضع آخر: " فإن كثيراً من هذه اللغة وجدْته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها ألا تراهم قالوا قِضم في اليابس وخِضم في الرّطْب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف" [4] .

ولما كانت اللغة بشكلها الإجمالي أصواتاً تستخدم للتعبير عن الحاجات والأغراض عند الناطقين بها فإن هذه الحاجات والأغراض مرهونة بلا شك بالانفعالات النفسية عندهم من حزن أو فرح أو غضب أو أي لون من ألوان التأثر، وإن مثل هذه الانفعالات قد تؤدي بالباعث الصوتي على توليد الكلمات أو الأصوات إلى ما يكاد يكون اعتقاداً غامضاً في وجود مطابقة خفية بين الصوت والمعنى[1] . وربما يكمن سر جمالية الجرس في هذه المطابقة الخفية إذ إنه يعد ((قيمة حسية في الألفاظ ، فهو شديد الخفاء، ولكنه أسرع نواحي الجمال في الشعر إلى نفوسنا[2] .

---

(1) د. طه حسين وآخرون ، التوجيه الأدبي، ص: 137.

(2) د. محمد زكي شادي ، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 28 .

(3) ابن جني ، الخصائص، 2 / 159.

(4) ابن جني: الخصائص1/ 66.

(1) ستفن اولمان : دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، ص:81.

(2) د. ماهر مهدي هلال : جرس الالفاظ: ص 20.

وإذا ما حاولنا التماس (الجرس) أو الدلالة الصوتية في ألفاظ القرآن الكريم وقفنا على حقيقة راسخة وهي إن القرآن الكريم قد ناسب بين أصوات ألفاظه، ومعانيها مناسبة عجيبة لفتت الأنظار، وأذهلت العقول حتى كأن اللفظة القرآنية تكاد تستقل – بجرسها ونغمها – بتصوير لوحة فيها اللون زاهياً أو شاحباً وفيها الظل شفيفاً أو كثيفاً[3]؛ إذ وظف المبدع – جل وعلا- الجرس الموسيقي للكلمة وما تحويه من ظلال للمعاني في إثراء معنى الكلمة، والايحاء بمضمونها قبل أن يوحي مدلولها اللغوي به[4].

وسوف نعرض لبيان أثر المجانسة والإبدال على المعنى من خلال تطبيق عملي على آيات من القرآن الكريم في الفصل الثاني إن شاء الله.

---

(3) د. صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن،: ص 334.

(4) د. احمد مختار عمر : لغة القران – دراسة توثيقية فنية – : ص 141

الفصل الثالث

تعالق أصوات الألفاظ بمعانيها في القرآن الكريم بين التنظير والتطبيق

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدلالة الصوتية للحروف المجتمعة.

المبحث الثاني: البنية الصوتية للحروف المجتمعة.

المبحث الثالث: الأثر الدلالي للأجراس الصوتية والإيقاعية على المعنى.

المبحــث الأول

الدلالة الصوتية للحروف للفظ الواحد في القرآن الكريم

إن الناظر في القرآن الكريم - وهو من أهل العلم بلغة العرب - يندهش من تناغم الحروف في تركيبه، وتعادل الوحدات الصوتية في مقاطعة، فكانت مخارج الكلمات متوازنة النبرات، وتراكيب البيان متلائمة الأصوات، فاختار لكل حالة أرادها ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء كل لفظ متناسباً مع صورته الذهنية من وجه، ومع دلالته السمعية من وجه آخر، فالذي يستلذه السمع، وتسيغه النفس وتقبل عليه العاطفة، هو المتحقق في العذوبة والرقة، والذي تتوجس منه النفس هو المتحقق في الزجر والشدة، وهنا ينبه القرآن المشاعر الداخلية عند الإنسان في إثارة الإنفعال المترتب على مناخ الألفاظ المختارة في مواقعها فيما تشيعه من تفسير نفسي معين سلباً وإيجاباً، قال الخطابي: " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. وإذا تأَملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلاؤمًا وتشاكلاً من نظمه. وأما المعاني فلا خفاءَ على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها " [1].

كما أن إيقاع اللفظ المفرد، وتناغم الكلمة الواحدة، عبارة عن جرس موسيقي للصوت فيما يجلبه من وقع في الأذن، يساعد على تنبيه الأحاسيس في النفس الإنسانية، لهذا كان ما أورده القرآن الكريم في هذا السياق متجاوباً مع معطيات الدلالة الصوتية.

والحديث عن مظاهر الدلالة الصوتية للفظة المفردة في القرآن الكريم تتكفل بإيضاحه المطالب التالية:

المطلب الأول: الدلالة الصوتية للحروف المجتمعة.

المطلب الثاني: البنية الصوتية للحروف المجتمعة.

---

(1) الخطابي، أبو سليمان البستي (ت: 388هـ) : بيان إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، الناشر: دار المعارف – مصر(ط 3)، 1976م، 1/ 27 .

المطلب الأول : الدلالة الصوتية للحروف المجتمعة:

إن تحدي القرآن للعرب بأن يأتوا ولو بآية مثله، وعجزهم عن ذلك رغم فصاحتهم وبلاغتهم؛ يرجع إلى أسباب شتى، وعلل جمة، فالدقة المتناهية في اختيار ألفاظه أدهشت أهل البلاغة والبيان، لدرجة أن اللفظ يدل على نفس الصوت، و الصوت يتجلى فيه ذات اللفظ، بحيث يستخرج الصوت من الكلمة، و تؤخذ الكلمة منه، و هذا من باب مطابقة الألفاظ للمعاني بما يشكل أصواتها، فتكون أصوات الحروف على سمت الأحداث التي يراد التعبير عنها.

وفي ذلك يقول ابن جني (فأما مقابلة الألفاظ بما يشكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً مايجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره، ومن ذلك قولهم: « خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب ... والقضم لأكل اليابس " [(1)].

ومن استقراء كلام المتقدمين كابن جني وغيره يمكننا القول أن الدلالة الصوتية للفظة المفردة على المعنى تلحظ من خلال أمرين:

الأول: أثر البنية الصوتية للحروف المجتمعة في اللفظة الواحدة في الدلالة على المعنى.

الثاني: أثر اختلاف الحرف الواحد أو الحركة بين لفظة وأخرى على المعنى .

اولًا: البنية الصوتية للحروف المجتمعة في اللفظة الواحدة ودلاتها على المعنى.

إن ما يميز القرآن الكريم ويجعله معجزاً في لفظه، هو ذلك الانسجام الرهيب بين لفظه ومعناه، لدرجة أن اللفظ يدل على نفس الصوت، و الصوت يتجلى فيه ذات اللفظ ، بحيث يستخرج الصوت من الكلمة، و تؤخذ الكلمة منه، وفي الأمثلة التالية ما يدل على ذلك :

- **لفظ ينغضون ودلالته الصوتية على المعنى :**

ورد هذا اللفظ في قوله تعالى :{ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتى هُوَ قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا } **[(1)]** .

قال الشوكاني مفسراً قوله تعالى (فسينغضون إليك رؤسهم) أي: يحركونها استهزاءً، يقال: نغض رأسه ينغض وينغض نغضاً ونغوضاً، أي: تحرك، وأنغض رأسه حركه كالمتعجب " [(2)] ، قال ابو حيان الأندلسي: " فسينغضون أي يحركونها على سبيل التكذيب والاستبعاد " [(3)] .

---

(1) ابن جني، الخصائص، (ت : ٣٩٢ هـ)، 2/ 159.

(1) سورة الإسراء الآية : (51) .

فالإنغاض بمعنى التحريك، يقال: نغض رأسه ينغض وينغض نغضاً ونغوضاً، أي تحرك . وأنغض رأسه، أي حركه كالمتعجب من الشئ. ويقال أيضا: نغض فلان رأسه، أي حركه [4] .

وهنا تجدر الإشارة إلى أمر هام: وهو لماذا لم يستخدم القرآن لفظ التحريك بدلاً من لفظ ينغضون وهل اللفظ الأخير له دلالة صوتية على معناه بحيث يكون هناك تعالق بين اللفظ ومعناه ؟!!

الذي يتراءى لمن يتأمل في اللفظين إنه لا وجه للترادف بينهما من حيث الصورة الدلالية حتى وإن كان المعنى اللغوي متقارب، فلفظ التحريك أو يحركون لا يرادف الصورة الدلالية للفظ ينغضون، وإنما جاء النص بهذا اللفظ للإشارة إلى معانٍ لا تؤديها كلمة يحركون، وهذا ما قد تنبه إليه الفراء والطبري والراغب والجوهري وغيرهم.

قال الجوهري: " وكل حركة في ارتجاف نغض. يقال: نغض رحل البعير وثنية الغلام، نغضاً ونغضاناً "[1] ، من ملحظ اضطراب الحركة وارتجافها في النغض والإنغاض، فليس كل تحرك إنغاضا، بل الاهتزاز والاضطراب أصل في دلالة النغص. قال الفراء: " يُقال أنغض رأسه أي حرَّكه إلى فوق وإلى أسفل. وأرانا ذَلِكَ أَبُو زكريا فقال برأسه ، فألصقه بِحَلْقِهِ ثُمَّ رفعه كأنه ينظرُ إلى السّقف. والرأس ينغِض ويُنغض. والثنيّة إذا تحركت: قيل نغضت سنة "[2].

قال ابن فارس: " النون والغين والضاد أصل صحيح يدل على هز وتحريك من ذلك النغضان: تحرك الأسنان . والإنغاض: تحريك الإنسان رأسه نحو صاحبه كالمتعجب منه [3] .

إذن فلفظ ينغضون لا يدل على الحركة وحسب وإنما يفيد الحركة مع اضطراب فحرف الغين يدل على الاضطراب والاهتزاز، وحرف السين يفيد الحركة والسعة والاستمرار، فكلا الصوتين المنبعثان عن هذين الحرفين أفادا المعنى حق افادة، ويقوى المعنى إذا فهمنا الآية بهذا الملحظ من الارتجاف والاضطراب حين يصك سمعهم البرهان المفحم:{ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ

---

(2) فتح القدير: محمد بن الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، (ط 1) – 1414 هـ ، 3/ 279.

(3) البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي (المتوفى: 745هـ) ، تحقيق : صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة بدون رقم ، 1420 هـ ، 7/ 63.

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري ، 3/ 1108.

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري ، 3/ 1108.

(2) معاني القرآن ، للفراء : 2/ 125

(3) معجم مقاييس اللغة : 5/ 454.

الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتى هُوَ قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا } [1]، وتخونهم الطمأنينة، فينم عنها إنغاض رؤسهم، وإن لجوا في العناد .

- **لفظ شوباً ودلالته الصوتية على المعنى:**

ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: { ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ } [2]

وهذه الكلمة وحيدة في القرآن صيغة ومادة، ومعنى الشوب كما ذهب إليها أغلب المفسرين، هو الخلط، من قول العرب: شاب فلان طعامه فهو يشوبه شَوْبا وشياباً [3] . قال صاحب مقاييس اللغة : " الشين والواو والباء أصل واحد، وهو الخلط. يقال: شبت الشيء أشوبه شوباً" [4].

والذي يتراءى لمن يتأمل في اللفظين إنه لا وجه للترادف بينهما من حيث الصورة الدلالية حتى وإن كان المعنى اللغوي متقارب، فلفظ الشوب له دلالة خاصة على المزج ، واستعماله أصلًا، في الشراب والسوائل، تشاب فلا يتميز منها سائل عن آخر. ويستعار بهذا الملحظ من المزج، لغير السوائل في الاستعمال المجازي. وأما الخلط فتتميز فيه عناصر المخلوط ومواده، كأن تخلط القمح بالشعير. ويستعار للناس يخالط بعضهم بعضاً دون أن تتماحى الخصائص أو تذوب الفروق بينهم، وقد جاءت مادته في القرآن في خلط عمل صالح بآخر سيئ، وفيما اختلط من شحوم بعظم، ومن ماء المطر بنبات الأرض، فتتميز عناصر الخليط واضح في دلالة المادة على اختلاف صيغها واستعمالها، على حين لا يتميز في الشوب سائل أو عنصر عما شيب به [1].

و"الراغب" وإن فسر الشوب في الآية بالخلط، قال في (خلط): الخلط هو الجمع بين أجزاء الشيئين فصاعداً، سواء كانا مانعين أو جامدين، أو أحدهما مائع والآخر جامد وهو أعم من المزج [2] .

---

(1) سورة الإسراء، الآية: (51) .

(2) سورة الصافات: الآية: (67)

(3) انظر: تفسير الطبري: 21/ 55، الشوكاني، فتح القدير: 4/ 457.

(4) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة : 3/ 225.

(1) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت : 1419هـ) ، الناشر: دار المعارف ، ط 3 ، بدون تايخ ، ص 360 .

(2) المفردات في غريب القرآن : 1/ 293.

وقال ابن الأثير في "الخلاط" من حديث الزكاة : والمراد به أن يخلط الرجل إبله بإبل غيره، أو بقره وغنمه، ليمنع حق الله فيها أو يبخس المصدق فيما يجب له [3].

ولعل في هذا كله، ما يوضح تميز عناصر الخليط، فيفترق بذلك عن الشوب بما فيه من معنى النشوب والمزج لا يتميز عنصر من آخر ولا ينفصل عنه [4]. ولفظ " شوباً " نفسه يصور بجرسه هذا المعنى، فحرف (الشين) حرف مهموس رخو، تدل معانيه في بداية المصدر على البعثرة والانتشار والتشتت والاضطراب بما يحاكي بعثرة الصوت عند خروجه[5]، أما الواو فهي لينة جوفية، يوحي صوت الواو الحاصل من تدافع الهواء في الفم بالبعد إلى الإمام [6]، وهذا المعنى الذي يعطيه التحليل الصوتي للفظ يعبر تمام التعبير عن المعنى المراد، فالشوب ليس مجرد خلط لما فيه من معنى النشوب والمزج بحيث لا يتميز عنصر من عنصر آخر، وهذه الدلالة صورها الصوت المنبعث من اللفظ، فالشين تفيد معنى التشتت والانتشار والتغلل، والواو جاء ليكمل هذا المعنى بما يفيده من معنى البعد إلى الإمام، فهو تغلل لا يتوقف وانتشار لا يسكن، وكأننا نرى تلك الصورة بأعيننا.

- **<u>لفظ(انبجس) ودلالته الصوتية على المعنى:</u>**

ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} **[1]**.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذه الدراسة هو حقيقة استعمال الفعل (انبجس) في هذه الآية المباركة، في حين استعمل الفعل (انفجر) في آية أخرى من سورة البقرة تناولت قصة الاستسقاء نفسها. قال تعالى: { ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } [3] .

---

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (ت: 606هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، 2/ 62.

(4) الإعجاز البياني للقرآن : ص 360.

(5) عباس حسن ، خصائص الحروف العربية ومعانيها : 115.

(6) المرجع السابق ص 97.

(1) سورة الأعراف : الآية: (160) .

(3) سورة البقرة : الآية: (60) .

فالمفسرون واللغويون منهم من ذهب إلى أن الانفجار بالماء أغزر من الانبجاس[1]، قال الراغب: (يقال بجس الماء وانبجس: انفجر، ولكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيقٍ، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء) [2].

فكل هذه الأشياء وغيرها – مما لا يتسع المقام لذكرها – دعت إلى اختلاف التعبير بين النصين الكريمين. إلا ان هذا كله لا يعني أن لفظ الفعل (انبجس) خالياً من القوة والغزارة ، فاللفظة لمجرد سماعها تطبع في الذهن صورةً لتدفق الماء بقوة وغزارة والذي أسهم في إظهار ملامح هذه القوة في هذه المفردة جرس أصواتها التي كانت مناسبة للمعنى إلى حد بعيد، ويتجلى ذلك في تحليل البنية الصوتية لها.

فالهمزة صوت انسدادي، إذ تُسَدُّ عند النطق به فتحة المزمار بحيث لا يُسمَح للهواء المزفور بالمرور من الحنجرة [4] . كما ان النون اللاحقة لها هي الاخرى من الأصوات الانسدادية، فعند النطق بها يلتصق طرف اللسان بأصول الأسنان العليا واللثة فيمنع الهواء من الخروج [1] ، وإن هذا الانسداد الذي تكرر مرتين متواليتين يعطيه قوة فيجعل المتلقي يستشعر شدة انحباس الماء في جوف الحجر، فكأنما قد ضاق به.

ثم يأتي بعد هذين الصوتين صوتان انفجاريان متواليان أيضاً، وهما الباء والجيم ليعبرا عن شدة الانفجار بعد ضرب الحجر بالعصا فيأتي تدفق الماء ضمن ممرات ضيِّقة وهذا الضيق - بطبيعة الحال - يعطيه شدة في الاندفاع تعادل شدة الانحباس.

ما صوت (السين) فقد جاء موازياً في موقعه من هذه اللفظة لصوت (الراء) في الفعل (انفجر).

بتحليل الدلالة الصوتية والمعنوية للفظ انبجس ولفظ انفجر يتضح - والله أعلم- أن الفرق في الدلالة بين الفعلين يكمن في التباين بين صفات هذين الصوتين، فالسين صوت رخو مهموس مرقق، أما الراء فهو صوت تكراري مجهور جاء مفخماً في لفظ الفعل المذكور في سورة (البقرة)، ما جعله يكون أكثر ملاءمة لدلالة الفعل على الغزارة في التدفق، كما إن الرخاوة والهمس في صوت السين ناسباً دلالة ضعف التدفق في لفظ الفعل المذكور في سورة (الأعراف).

---

(1) ينظر: أبو علي الطبرسي (548هـ) ، مجمع البيان : ، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1986م ، 754/4، معترك الأقران في إعجاز القرآن : جلال الدين السيوطي (ت : 911هـ) ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان ، ط1 ، 1408 هـ - 1988 ، 87/1 ،

(2) الراغب الأصبهاني ، المفردات في غريب القرآن : ص58.

(4) ينظر: بسام بركة ، علم الأصوات العام : 117 .

(1) ينظر: علم الأصوات العام : ص 119.

- **لفظ (صِر) ودلالته الصوتية على المعنى**

ورد هذا اللفظ ومشتقاته في القرآن الكريم في أكثر من موضع ، منها:

- في قوله تعالى: { مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (1).

- وفي قوله تعالى: {وأمّا عادٌ فأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صرْصرٍ عاتِيةٍ } (2).

قال الزمخشري: " الصرُّ: الريح الباردة نحو: الصرصر" (3) .

ولا شك أن المعنى السابق لفظ (صر) و (صرصر) يعبر عن معناه، فكلاهما نلتمس فيها اصطكاك الأسنان، وترديد اللسان، فالصاد في وقعها الصارخ، والراء المضعّفة، والتكرار للمادة في صرصر، قد أضفا صيغة الشدة، وجسّد صورة الرهبة ، فلا الدفء بمستنزل، ولا الوقاية متيسرة، وذلك ما يهد كيان الإنسان عند التماسه الملجأ فلا يجده، أو النجاة فلا يصل شاطئها، أو الوقاية من البرد القارس فلا يهتدي لها، ففي لفظ (الصر) ذائقة الشتاء، ونازلة الثلوج، وأصوات الرياح العاتية، فمادة الصر إذن: كما عبر عنها الراغب (ترجع إلى الشدة لما في البرودة من التعقد) (4).

قال الزمخشري (الصر الريح الباردة نحو الصرصر، وفيه أوجه: أحدها: أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة، فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر، كما تقول: برد بارد على المبالغة. الثاني: أن يكون الصر مصدراً في الأصل بمعنى البرد فيجيء به على أصله. الثالث: أن يكون شبه ما كانوا ينفقون بالزرع الذي جسه البرد فذهب حطاماً) (1).

ولكننا نضع أيدينا على الحس الصوتي في اللغة، فيعطينا دلالة خاصة، مواكبة لسياق الحدث في هذا الصوت؛ فريح صر، وصرصر شديدة البرودة، وقيل: شديدة الصوت، وصر وصرصر: صوت الصرير.

قال ابن منظور: قال ابن الأنباري في قوله تعالى: (كمثل ريح فيها صر) فيها أقوال: أحدها: فيها صر أي برد، والثاني فيها تصويت وحركة (2).

---

(1) سورة آل عمران الآية: (117) .

(2) سورة الحاقة الآية: (6) .

(3) الزمخشري: الكشاف: 1/ 403.

(4) الراغب، المفردات: 1/ 482، ت: ٥٠٢ هـ.

(1) الزمخشري: الكشاف: 1/ 403، ت: ٥٣٨ هـ.

(2) ابن منظور، لسان العرب : 8/ 224.

والصرة أشد الصياح تكون في الطائر والإنسان. وصر صماخه صريراً: صوّت من العطش، وصرصر الطائر: صوت [3] .

فالصوت هنا ملازم لـ (صر) و (صرصر) تارة في الشدة، وأخرى في صوت الريح، ومثلها في أشد الصياح، وتارة في التصويت من العطش، وسواها في تصويت الطائر، وأهمها (الصر) سمي بصوته، ويليه العصفور إذا صاح، ومن ثم صرير الباب، وصر الجندب، وكل صوت يشبه ذلك في التخفيف أو الترجيع [4].

و (صر) في الآيات ليست بمعزل عن هذه المصاديق في الشدة والصوت والتصويت، وتسمية الشيء باسم صوته.

- **لفظ (غرقاً) ودلالته الصوتية على المعنى**

ولو وقفنا في سورة النازعات عند قوله تعالى : {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} [5]

ذهب جُل المفسرين إلى أن (غرقاً) في قوله تعالى: (والنَّازِعات غَرْقاً) معناها النزع، إلا أن الغرْق أقوى من النزع، فهو نزع بشدة، قال الفخر الرازي في تفسير الآية: " هي الملائكة الذين ينزعون نفوس بني آدم فإذا نزعوا نفس الكفار نزعوها بشدة، وهو مأخوذ من قولهم: نزع في القوس فأغرق " [6].

وما يعنينا هنا لماذا لم يستخدم القرآن لفظ (النزع بشدة) بدلاً من لفظ (غرقاً) وهل اللفظ الأخير له دلالة صوتية على معناه بحيث يكون هناك تعالق بين اللفظ ومعناه ؟!!

الذي يتراءى لمن يتأمل في اللفظين إنه لا وجه للترادف بينهما من حيث الصورة الدلالية حتى وإن كان المعنى اللغوي متقارب، فلفظ النزع بشدة لا يرادف الصورة الدلالية للفظ غرقاً، وإنما جاء النص بهذا اللفظ للإشارة إلى معانٍ لا تؤديها كلمة (نزعاً بشدة)، إذ إن (غرقاً) : " تمتاز بدلالة أخرى من وراء حدود اللغة، فهي تصور مشهداً حسياً مفزعاً لكيفية نزع أرواح الكافرين، وكأن روح الكافر تتغلغل في كل أنحاء جسدة وتختلط بعظمه ولحمه وتحاول التخفي في كل أنحاء الجسد هروباً من العذاب، فهم يعلمون جزاء عملهم، وعاقبة كفرهم.

---

(3) ابن منظور، لسان العرب : 8/ 224، مرجع سابق.

(4) انظر : ابن جني، الخصائص: 2/154- 155

(5) سورة النازعات: الآية (1)

(6) الفخر الرازي ، أبو عبد الله، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، 31/ 28.

وقد أشار الزمخشري في كتابه الكشاف إلى هذا المعنى الحسي البليغ فقال في معنى هذا اللفظ: " غرقاً: إغراقاً في النزع، أى: تنزعها من أقاصى الأجساد من أناملها وأظفارها " [2] .

فلفظ (غرقاً) يدل على معنى لا يؤديه لفظ (النزع)، فالأول يمثل صورة حركية للمشهد، فيتخيل القاريء أو السامع الموقف ويتبادر إلى ذهنه صورة الغريق الذي يخرج إلى السطح بحثاً عن النجاة ثم يغوص للأعماق ، ويتكرر ذلك مرات ومرات قبل أن يموت، وهي صورة تتناسب غاية التناسب مع الموقف، فنفس الكافر لعلمها بالنار فهي تحاول النجاة والهرب فإذا جاء وقت أجلها وهمَّ الملائكة بأخذها فهي تهرب وتغوص في كل أعضاء الجسم، وتستمر الصورة الحسية للموقف فالطرف الآخر وهم الملائكة ينزعونها بشدة وقسوة جزاءً لها على ما اقترفت في دنياها وكسبت من أعمالها.

فلفظ (غرقاً) يمثل المعنى المناسب للفظ ويؤكد على التعالق بين اللفظ ومعناه في القرآن ، وهذا اللفظ كما يقول الفخر الرازي: " مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ نَزَعَ فِي الْقَوْسِ فَأَغْرَقَ يقال: أَغْرَقَ النَّازِعُ فِي القوس إِذَا بَلَغَ غَايَةَ الْمَدَى حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى النَّصْلِ، فَتَقْدِير الْآيَةِ : وَالنَّازِعَاتِ إِغْرَاقًا، وَالْغَرْقُ وَالْإِغْرَاقُ فِي اللُّغَةِ بِمَعنى وَاحد [1].

وربما يكون المعنى أوضح في التحليل المقطعي للصوت، فاللفظ (غرقاً) تشكل من مقطعين / غ ـــ ر / ق ـــَـ ا، أما المقطع الأول فهو يبدأ بحرف (الغين) التي تتصف بأنها مجهورة؛ أي لا يجري معها النفس، وهي أيضاً صوت رخو، يعني قابل للمط، فصوتها قابل للتطويل، أيضاً حرف الغين حرف مستعل عندما ننطقه ينضغط صوته إلى قبة الحنك فيعود الصوت وله رنين، هذا الرنين يسميه علماؤنا التفخيم، أما حرف (الراء) فيفيد التحرك والتأود ذات اليمين وذات اليسار والتكرر، و(القاف) تفيد القوة والمقاومة [2] .

إذن فهذه الصفات الصوتية لكل حرف من حروف اللفظ السابق ، تقرّب إلى الذهن معنى اللفظ، وتبين شدة التعالق بين اللفظ ومعناه في القرآن، قال ابن فارس: " الْغَيْنُ وَالرَّاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْتِهَاءٍ فِي شَيْءٍ يَبْلُغُ أَقْصَاهُ. مِنْ ذَلِكَ الْغَرَقُ فِي الْمَاءِ. وَالْغَرِقَةُ: أَرْضٌ تَكُونُ فِي غَايَةِ الرِّيِّ. وَاغْرَوْرَقَتِ الْعَيْنُ وَالْأَرْضُ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا، كَأَنَّهَا قَدْ غَرِقَتْ فِي دَمْعِهَا. وَمِنَ الْبَابِ: أَغْرَقْتُ فِي الْقَوْسِ: [مَدَدْتُهَا] غَايَةَ الْمَدِّ. وَاغْتَرَقَ الْفَرَسُ فِي الْخَيْلِ، إِذَا خَالَطَهَا ثُمَّ سَبَقَهَا. وَمِمَّا شَذَّ عَنْ هَذَا الْبَابِ الْغُرْقَةُ مِنَ اللَّبَنِ: قَدْرَ ثُلُثِ الْإِنَاءِ، وَالْجَمْعُ غُرَقٌ " [1] .

---

(2) الزمخشري، جار الله ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 4/ 693.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، 31/ 28.

(2) عباس، حسن ، خصائص الحروف العربية ومعانيها: 258.

(1) ابن فارس، أبو زكريا، معجم مقاييس اللغة: 4 / 418.

- **لفظ (أغطش) ودلالته على المعنى:**

ولو وقفنا في سورة النازعات عند قوله تعالى (أغطش)، قال تعالى :{ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا} [2].

ذهب بعض المفسرين إلى أن (أغطش) من مرادفات (أظلم) أي إنهما بمعنى واحد، والمعنى: أظلم ليله، أي جعله مظلماً، قال الراغب: " أغطش ليلها أي: جعله مظلماً، وأصله من الْأَغْطَشُ، وهو الذي في عينه شبه عمش، ومنه قيل: فلاة غَطْشَى: لا يهتدى فيها، والتَّغَاطُشُ: التّعامي عن الشيء" [3].

والذي يتراءى لمن يتأمل في اللفظين إنه لا وجه للترادف فيهما، وإنما جاء النص بهذا اللفظ للإشارة إلى معانٍ لا تؤديها كلمة (أظلم)، إذ إن (أغطش): " تمتاز بدلالة أخرى من وراء حدود اللغة، فالكلمة تعبر عن ظلام انتشر فيه الصمت وعمّ الركود وبدت في أنحائه مظاهر الوحشة، ولا يفيد هذا المعنى كلمة (أظلم)، إذ تعبر عن السواد الحالك ليس غير[4] .

ولعل الذي جعل هذا اللفظ مكتنزاً بهذه المعاني كلها، الترتيب الصوتي لها ابتداءٌ من البناء العام للفظ وانتهاءٌ بالوحدات الصوتية الصغرى فيه، فاللفظ من الألفاظ الغريبة التي تشعر بالوحشة والتي تنبو منها الأسماع ، فلذلك قلّ استعماله في لغة العرب، وقد جاء هنا مقصوداً ليختزل التعبير عن مشهد مظلم خيّم عليه الصمت وعمَّ فيه الركود وبدت عليه مظاهر الوحشة، فهو على غرابته وكراهته جاء في موضعه على أحسن ما يمكن أن تأتي عليه الألفاظ، وفي ذلك يقول الجاحظ: " إن أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه" [1]، وربما يكون المعنى أوضح في تحليل التركيب الصوتي للفظ . فاللفظ تشكل من مقطعين / أ ـــَ غ / ط ــــَ ش، والمقطع الثاني أظهر وأبين من الأول عن النطق باللفظ مُقَطَّعاً، فهو يتكون من صامت الطاء زائداً مد قصير زائداً صامت الشين، والذي أعطاه قوة في الظهور صوت الطاء تحديداً، فهو من أصوات الإطباق الشديدة، مما أعطى إيحاءً بإطباق الليل وشدة ظلامه. أما صوت الشين فهو صوت رخو مهموس، وصفه الدارسون بالتفشي، لأن الهواء يتفشى عندما يرتفع طرف اللسان إلى مؤخر اللثة عند النطق به، وهذه الصفات تقرّب إلى الذهن حالتي الصمت والركود التي تفشت في أنحاء الظلمة [2] .

---

(2) سورة النازعات : الآية (29)

(3) الراغب ، الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن : 1/ 608.

(4) مباحث في إعجاز القرآن : د مصطفى مسلم : دار القلم – دمشق الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ – 2005 م ، ص 138.

(1) الجاحظ ، أبو عثمان (المتوفى : 255هـ) ، البيان والتبين : 1/ 87.

(2) انظر: د. ايمن رشدي سويدي ، الدرر المنيرات في مخارج الحروف والصفات :، ص 17

ومن لطيف ما يمكن ذكره هنا إن صوت الشين يستعمل في اللغة الدارجة وفي أكثر اللهجات العربية المتداولة اليوم للتعبير عن الصمت في صيغة دارجة تقترب في بنائها ومعناها من صيغة فعل الامر (ولعله اسم صوت) (اشْ) بمعنى اصمت، وهذا يعضد ما بدا للباحث من دلالة صوت الشين على الصمت والركود.

وعليه فإن لطافة هذا اللفظ تكمن في جرس أصواته ومدى مناسبتها للمعنى فهي تجعل المتلقي قريباً إلى استشعار المعنى من خلال إيقاعها المتماسك وجرسها المعبّر.

ثانياً: أثر اختلاف الحرف الواحد أو الحركة بين لفظة وأخرى على المعنى .

ذكر ابن جني أن اختلاف الحرف الواحد بين اللفظتين يؤدي إلى اختلاف دقيق في المعنى المراد من اللفظ ، كقولهم: خَضَم وقَضَم ، فالخضم: لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم: للصلب اليابس نحو: قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك. وفي الخبر قد يدرك الخضم بالقضم، أي: قد يدرك الرخاء بالشدة واللين بالشظف. وعليه قول أبي الدرداء: يخضمون ونقضم والموعد الله، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث [1] .

ومن ذلك القدّ طولًا والقط عرضًا. وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعًا له من الدال، فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض؛ لقربه وسرعته، والدال المماطلة لما طال من الأثر وهو قطعه طولًا [2].

إذن فالاختلاف في الأصوات يؤدي إلى اختلاف المعنى حتى وإن كان في حرف واحد من حروف اللفظة ، فكل حرف له صوته الذي يعبر به عن معنى ودلالة معينة، وبالمثال يتضح المقال.

- **لفظ (قَصَم) و (فَصَم) والدلالة الصوتية لكل منهما على المعنى :**

قال تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [3].

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: { وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ } [1].

(1) ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، 2/ 159 ، 160.

(2) ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، 2/ 159 ، 160، مرجع سابق.

(3) سورة البقرة الآية: (256).

(1) سورة الأنبياء الآية: (11).

فالآية الأولى جاءت بلفظ (الفَصْم) والثانية جاءت بلفظ (القَصْم) وهما لفظان متقاربان في المعنى فهما يدلان على معنى الكسر، كذلك هم متماثلان في النطق، فلا يكاد يكون هناك خلاف صوتي بينهما إلا في الحرف الثاني، فهو في اللفظة الأول (فاء) وفي الثانية (قاف)، والسؤال هنا هل يؤدي الخلاف الصوتي بين (القاف) و (والفاء) إلى اختلاف في المعنى؟

الجواب نعم، فالخلاف الصوتي بين الفاء والقاف غيَّر المعنى، وقد استخدم القرآن اللفظين ووظف كلاً منهما في سياقه أبلغ توظيف.

<u>المقصود بقوله تعالى (قصمنا):</u>

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وكثيراً قصمنا من قرية، والقصم: أصله الكسر، يقال منه: قصمت ظهر فلان إذا كسرته، وانقصمت سنه: إذا انكسرت، وهو هاهنا معني به أهلكنا، وكذلك تأوّله أهل التأويل " [1].

قال الزمخشري: " وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم، لأنّ القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم. وأراد بالقرية: أهلها، ولذلك وصفها بالظلم. وقال قَوْماً آخَرِينَ لأن المعنى: أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين " [2]. ففي الآية إشارة إلى شدة عذاب الله تعالى للقرى بسبب ظلم أهلها وكفرهم.

قال ابن فارس: قَصَمَ الْقَافُ وَالصَّادُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْكَسْرِ. يُقَالُ: قَصَمْتُ الشَّيْءَ قَصْمًا. وَالْقُصَمُ: الرَّجُلُ يَحْطِمُ مَا لَقِيَ " [4].

<u>المقصود بقوله تعالى (انفصام):</u>

قال أبو جعفر الطبري: يعني تعالى ذكره بقوله: " لا انفصام لها"، لا انكسار لها."والهاء والألف"، في قوله: "لها" عائد على"العروة" [1]. والفصْم: هو الصدع في الشيء من غير بينونة ، قال ابن فارس: "الْفَاءُ وَالصَّادُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْصِدَاعِ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ بَيْنُونَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الْفَصْمُ، وَهُوَ أَنْ يَنْصَدِعَ الشَّيْءُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبِينَ. وَكُلُّ مُنْحَنٍ مِنْ خَشَبَةٍ وَغَيْرِهَا فَهُوَ مَفْصُومٌ " [2] .

والفرق بين القصم والفصم: أن القصم بالقاف الكسر مع الابانة، والقصم مصدر قصمت الشئ قصماً إذا كسرته، والقصمة من الشئ القطعة منه والجمع قصم. والفصم بالفاء: كسر من غير إبانة،

---

(1) االطبري ، ابن جرير : جامع البيان : 18/ 416.

(2) الزمخشري ، الكشاف : 105/3.

(4) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : 93/5.

(1) الطبري ، ابن جرير : 5/ 422

(2) ابن فارس : مقاييس اللغة : 506/4

يُقال : إنفصم الشئ إنفصاماً إذا تصدع ولم ينكسر، ومنه قوله تعالى " لا انفصام لها " ولم يقل لا انقصام لها؛ لان الانفصام أبلغ فيما اريد به هاهنا وذلك أنه إذا لم يكن لها إنفصام كان أحرى أن لا يكون لها إنقصام [3] .

تبين مما سبق أن دلالة الأصوات تدل على معنى الألفاظ المستخدمة في السياق القرآني، فصوت القاف أقوى وأبلغ في التعبير عن شدة عذاب الله – تعالى - وأخذه للكافرين، من صوت الفاء،

(فالقصم) أشد حركات القطع الحاسم، وجرسها اللفظي يصور معناها، فهو عند القصم يوقِع الفعل على القرى (وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ) ليشمل ما فيها ومن فيها، وعند الإنشاء من جديد يلقي الفعل على القوم الذي ينشئون ويعيدون إنشاء القرى (وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ) وفي هذا النظم مراعاة للحقيقة والواقع فالدمار يحلُّ على الدار وأهلها ولكن الإنشاء يبدأ بأهل الدار الذي يعيدون إنشاء البنيان. إضافة إلى أن عرض هذه الحقيقة في هذه الصورة يضخِّم عملية القصم والتدمير لشمولها على القرى، ما فيها ومن فيها وهذا هو الظِلُّ المراد إلقاؤه على طريقة التصوير[1].

إلى بلاغة القرآن في اختيار الألفاظ وإلى ثراء اللغة العربية ومدلولاتها الصوتية للألفاظ، وفي ذلك يقول ابن الأثير: " من عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دقّ فهمه وجلّ نظره "[2].

- **<u>لفظ (أزَّ - هزّ) والدلالة الصوتية لكل منهما على المعنى</u>**

فقد أشار إليه ابن جني من أن اختلاف الحركة أو الحرف في اللفظة يغير دلالتها ومعناها عن معنى لفظة أخرى، حتى لو اتفقا في باقي الحروف والحركات والنطق، أو بعبارة أخرى اتفاق المباني وافتراق المعاني. وقد ذُكِر مثال على ذلك، وهذا مثال آخر من القرآن الكريم في لفظي (أز) و (هز) بفتح الحرف الأول، وتشديد الحرف الثاني وفتحه.

قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا } [3] . وقال تعالى:{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا } [4].

<u>المقصود بقوله تعالى (تؤزهم):</u>

---

(3) انظر : العسكري ، أبو هلال (بتصرف بسيط): 1/ 431 .

(1) قطب ، سيد : في ظلال القرآن الكريم: 2370/4

(2) ابن الأثير ، ضياء الدين (ت : 637هـ) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، التحقيق: أحمد الحوفي بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة. القاهرة ، 1/ 164.

(3) سورة مريم الآية: (83).

(4) سورة مريم الآية :(25).

قال الزمخشري: " الأز، والهزّ، والاستفزاز: أخوات، ومعناها التهييج وشدة الإزعاج، أى: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات " [1].

قال صاحب مقاييس اللغة : " وَالْهَمْزَة وَالزَّاء يَدل عَلَى التَّحرُّك وَالتَّحْرِيك وَالْإِزْعَاجِ. قَالَ الْخَلِيل: الْأَزُّ: حَمْل الْإِنسَان الْإِنْسَان عَلَى الْأَمْر بِرِفْق وَاحْتِيَال [2].

وهو مأْخُوذٌ مِنْ أَزِيز الْقِدْر إِذَا اشْتَدَّ غَلَيَانُهَا. شَبَّهَ اضْطِرَاب اعْتِقَادِهِم وَتَنَاقُضَ أَقْوَالِهِمْ وَاخْتِلَاقَ أَكَاذِيبِهِم بِالْغَلَيَانِ فِي صُعُودٍ وَانْخِفَاض وَفَرْقَعَة وَسُكُون [3].

فالأز: الأزعاج والقوة والشدة والتهييج .

<u>المقصود بقوله تعالى (هُزِى):</u>

قال ابن فارس : الْهَاءُ وَالزَّاءُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ فِي شَيْءٍ وَحَرَكَةٍ. وَهَزَزْتُ الْقَنَاةَ فَاهْتَزَّتْ. وَاهْتَزَّ النَّبَاتُ، وَهَزَّتْهُ الرِّيحُ. وَهَزَّ الْحَادِي الْإِبِلَ بِحُدَائِهِ وَاهْتَزَّتْ هِيَ فِي سَيْرِهَا. وَهَزِيزُ الرِّيحِ: حَرَكَتُهَا وَصَوْتُهَا[4] .

قال ابن جرير في تفسيره: " قوله (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) ذكر أن الجذع كان جذعًا يابسًا، وأمرها أن تهزّه، وذلك في أيام الشتاء، وهزّها إياه كان تحريكه.كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَهُزِّي إِلَيْكِ جِذْعِ النَّخْلَةِ) قال: حركيها " [5] .

فالملاحظ على هذين اللفظين الاختلاف بين حرفي الهمزة والهاء في بدايتهما، فليس قوة الأز وشدته، وخفة الهز ولينه بمعزل عن تأثير الصوتين، فلو تتبعنا الدلالة الصوتية للحروف، لوجدنا أن صوت كل حرف يتفق مع معناه الدلالي، فصوت الهمزة صوت قوي نابع من الصد، فهو نبرة من الصدر قوية مجهورة، لذا خصّوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزِّ؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع، وساق الشجرة، ونحو ذلك [1] .

فالتعبيرَ القرآني امتازَ بالدقةِ في اختيارِ اللفظِ المناسبِ للتعبير عن المقامِ بما يلائمه. ففي الحديثِ عن الكفارِ اختار (الأزّ) لِما في صوت الهمزة من شدةٍ وصلابةٍ، فالهمزةُ توصف بأنها من أشدِّ الحروفِ في اللغة العربية، وهي أكثرُ الأصواتِ ملاءمة للبيئةِ البدويةِ لما فيها من الشدة والقوة؛ لذا فإنها

---

(1) الزمخشري : الكشاف ، 42/3.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة : 1/ 13 .

(3) ابن عاشور، الطاهر : التحرير والتنوير : 165/16.

(4) ابن فارس ، مقاييس اللغة : 9/6

(5) الطبري ، جامع البيان : 18/ 178.

(1) ابن جني ، الخصائص : 2/ 148.

ناسبت المقامَ الذي وردت فيه، على حين اختيرت الهاء في مقام الخطاب الموجه إلى مريم [عليها السلام]، انسجاماً مع الحالة النفسية التي كانت تتسم بالقلق والاضطراب، لما كان يكتنفها من ظروف اجتماعية؛ إذ كانت متّهمة في عِفّتها، فكيف تضع امرأةٌ وليدا من غير زوج؟ فكان صوت الهاء الذي يتصف بالهمس والرخاوة أكثر مناسبة للموقف الذي عبر عنه؛ فجاء الصوتان أكثرَ ملاءمة للحالة التي عبر عنها الصوتان في هذين الموضعين المختلفين. وباستقراء الملامح التمييزية العامة لكلا الصوتين نجدهما:

- الهمزة: (حنجرية، انفجارية، لا مجهورة ولا مهموسة)[5].
- الهاء: (حنجرية، احتكاكية، مهموسة).

هذه الملامح للصوتين، تبين أن التوافق كبير بينهما إذا ما أضفنا صفتين جزئيتين لهما هما: الانفتاح والاستفال، وبذلك يبقى الاختلاف في الانفجار والاحتكاك، والانفجار أقوى من الاحتكاك، فجاء التعبير بالهمزة (أزّ) بدلا من الهاء في الآية، نظراً للخطاب الموجه للكفار المرتبط بفعل الشياطين، فما ميّز قوة الأزّ على الهزّ هو ملمح الانفجار في همزة (أزّ) لا تعاقُبُ الصوتين مكان بعضهما، وقد قابل الشياطين لقوتها، وقد عبر القدماء عن ذلك بالإبدال[1]. دون تحديد للملامح ودورها واكتفوا بالقول إن ما جرى هو إبدال الهمزة مكان الهاء لأنها أقوى من الهاء، وبنظر المدرسة التوليدية فإن ما أعطى قوة المعنى والاختلاف بين الكلمتين هو ملمح الانفجار الذي ميز الهمزة عن الهاء. ومجاورة الهمزة لصوت مجهور هو/ الزاي/ مما أعطى الهمزة قوة أخرى ميزتها عن /الهاء/.

[5(4)] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة : 1/ 13 .

(5) أبو الطيب اللغوي ، علي عبد الواحد (ت 351هـ) ، الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق،1961م ، ج2، ص568.

المطلب الثاني

البنية الصوتية للحروف المجتمعة:

تتميز بعض المقاطع الصوتية بأنها مغرقة في الطول و المد و بالرغم من ندرة صيغة هذه المركبات الصوتية في اللغة العربية حتى أنها لتعدّ بالأصابع، فإننا نجد القرآن الكريم يستعل أفخمها لفظاً، وأعظمها وقعاً، فتستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدّتها، من تلك الألفاظ: الحاقّة، الطّامة؛ الصّاخة. وقد تأتي مجّردة عن التعريف فتهتدي إلى عموميتها، مثل: دابّة. كافة

هذه الصيغة صوتياً تمتاز بتوجه الفكر نحوها في تساؤل، واصطكاك السمع بصداها المدوي، وأخيراً بتفاعل الوجدان معها مترقباً: الأحداث، المفاجئات، النتائج المجهولة.

فألفاظ الحاقة الطامة والصاخة: كلمات تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي، والأداء الجهوري لسماع رنتها، مما يتوافق نسبياً مع إرادتها في جلجلة الصوت، وشدة الإيقاع، كل ذلك مما يوضع مجموعة العلاقات القائمة بين اللفظ ودلالته في مثل هذه العائلة الصوتية الواحدة، فإذا أضفنا إلى ذلك معناها المحدد في كتاب الله تعالى، وهو يوم القيامة، خرجنا بحصيلة علمية تنتهي بمصاقبة الشدة الصوتية للشدة الدلالية بين الصوت والمعنى الحقيقي.

من ذلك قوله تعالى :(ا لْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} [1] إشارة إلى يوم القيامة، وعلم عليها فيما أفاد العلماء، قال الفرّاء {الحاقة: القيامة، سميت بذلك لأن فيها الثواب والجزاء} [2]

وقال الطبرسي {الحاقة اسم من أسماء القيامة في قول جميع المفسرين، وسميت بذلك، لأنها ذات الحواق من الأمور، وهي الصادقة الواجبة الصدق، لأن جميع أحكام القيامة واجبة الوقوع، صادقة الوجود. وقيل سميت القيامة الحاقة لأنها تحق الكفار من قولهم: حاققته فحققته، مثل: خاصمته فخصمته}[1] .

وقال الطريحي: " الصاخة بتشديد الخاء يعني القيامة ، فإنها تصخ الأسماع، أي تقرعها وتصمها ، يقال: رجل أصخ ، إذا كان لا يسمع) [2]

إلا أن الرغب يعطي الصاخة دلالة أعمق في الإرادة الصوتية المنفردة فيقول: الصاخة شدة صوت ذي المنطق[3].

فيكون استعمالها حينئذ في القيامة على سبيل المجاز.

---

(1) سورة الحاقة الآيات: (1-3) .

(1) الطبرسي، مجمع البيان، (ت: ١٠٨٥ هـ): ٥ | ٣٤٢ . ٣٤٣.

(2) الطريحي، مجمع البحرين، (ت : ٢٠٧ هـ) : ٢ | ٤٣٧

(3) الراغب ، المفردات، (ت: ٥٠٢ هـ): ٢٧٥

قوله تعالى (الطامة) :

قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ}[4] .

قال الطبرسي: (هي القيامة لأنها تطم كل داهية هائلة، أي تعلو وتغلب، ومن ذلك قيل: ما من طامة إلا وفوقها طامة، والقيامة فوق كل طامة، فهي الداهية العظمى) [5].

ولعل اختيار الطبرسي للداهية في تفسير الطامة باعتبارها داهية لا يستطاع دفعها، ولأن القيامة تطم كل داهية هائلة، لا يخلو من وجه عربي أصيل، فالعرب استعملت الطامة في الداهية العظيمة تغلب ما سواها، وأية داهية أعظم من القيامة لا سيما وهي توصف هنا بالكبرى.

إن موافقة أصوات الحاقة والصاخة والطامة لمعانيها في الدلالة على يوم القيامة، من أعظم الدلالات الصوتية في الشدة والوقع والتلاؤم البنيوي والمعنوي لمثل هذه الصيغة الحافلة.

ودلالة هذه الصيغة في: دابة، وكافة، على الشمول والكلية المطلقة يوحي بالمضمون نفسه في الإيقاع الصوتي، قال تعالى:{قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[2]. يدل أن هذا الرسول العربي الأمين، لم يختص بزمنية، ولم يبعث لطبقة خاصة، فتخطى برسالته حدود الزمان والمكان.

---

(4) النازعات الآية :(34).

(5) الطبرسي، مجمع البيان: ٥ | ٤٣٤

(2) سورة سبأ آية: (28).

المبحـث الثـاني

التكرار في حروف اللفظة المفردة وأثره في المعنـى .

تحدث المبحث السابق عن دلالة الأصوات المنبعثة من اللفظة المفردة على المعنـى نتيجـة التجـانس الصوتي للحروف المختلفـة، وفـي هذا المبحث سوف تتنـاول الدراسـة – بتوفيق الله تعـالى - بيـان الأثـر الدلالي لتكرار الحرف أكثر من مرة داخل اللفظة الواحدة.

- **قوله تعالى (فكبكبوا) ودلالة التكرار على المعنى:**

ورد هذا اللفظ في قوله تعالى : {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ}[1].

قال في المفردات: "الْكَبُّ: إسقاط الشيء على وجهه. قال عزّ وجل: فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ[7]. والإِكْبَابُ: جعل وجهه مَكْبُوباً على العمل. قـال تعـالى: أَفَمَنْ يَمْشِـي مُكِبًّا عَلـى وَجْهِـهِ أَهْدى[8] والكَبْكَبَـةُ: تدهور الشيء في هوّة. قال: فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَالْغاوُونَ[9]. يقال كَبَّ وكَبْكَبَ، نحو: كفّ وكفكف [2] .

وَأَصْلُهُ كُبِّبُوا بِبَاءَيْنِ ، الْأُولَى مُشَدَّدَةٌ مِنْ حَرْفَيْنِ، فَأُبْدِلَ مِنَ الْبَاءِ الْوُسْطَى الْكَافُ [3] .

قال ابن فارس: "الْكَافُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَتَجَمُّعٍ، لَا يَشِذُّ مِنْـهُ شَـيْءٌ . يُقَالُ لِمَا تَجَمَّعَ مِنَ الرَّمْلِ كُبَابٌ. قَالَ: يُثِيرُ الْكُبَـابَ الْجَعْدَ عَنْ مَتْنِ مَحْمِلِ وَمِنْـهُ: كَبَبْتُ الشَّـيْءَ لِوَجْهِهِ أَكُبُّهُ كَبًّا. وَأَكَـبَّ فُـلَانٌ عَلَـى الْأَمْـرِ يَفْعَلُـهُ. وَتَكَبَّبَتِ الْإِبِلُ، إِذَا صُرِعَتْ مِنْ هُزَالٍ أَوْ دَاءٍ. وَالْكَبْكَبَةُ: أَنْ يَتَدَهْوَرَ الشَّيْءُ إِذَا أُلْقِيَ فِي هُوَّةٍ حَتَّـى يَسْتَقِرَّ، فَكَأَنَّهُ [تَرَدَّدَ] فِي الْكَبِّ. وَيُقَالُ: جَاءَ مُتَكَبْكِبًا فِي ثِيَابِهِ، أَيْ مُتَزَمِّلًا. وَمِنْ ذَلِكَ الْكُبَّةُ مِنَ الْغَزْلِ. وَمِنَ الْبَـابِ كَوْكَبُ الْمَاءِ، وَهُوَ مُعْظَمُهُ. وَالْكَبْكَبَةُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ الْخَيْلِ. وَالْكَوْكَبُ يُسَمَّى كَوْكَبًا مِنْ هَذَا الْقِيَاسِ [1].

والملاحظ للدلالة المعنوية لهذا اللفظ يجد أنـه لا يبعد كثيراً عن دلالتـه الصـوتية، فهذه الصـيغة قد حملت معنى اللفظ في تكرار صوتها، فتكرار الصوت دل على زيـادة تكرار المعنـى، فالزيـادة فـي البنـاء لزيادة المعنى، وفي هذا المعنى يقول الزمخشري: " والكبكبة: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلًا

(1) سورة الشعراء آية: (94).

(6) سورة النمل أية: (90).

(8) سورة الملك أية: (22).

(9) سورة الشعراء أية: (94).

(2) الأصفهاني، الراغب: 1/ 695.

(3) الشوكاني ، محمد بن على: فتح القدير: 4/ 124.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة : 5/ 124.

على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقرّ في قعرها، اللهم أجرنا منها يا خير مستجار" [2].

وقال العلامة الطيبي: كرر الكب دلالة على الشدة [3] .

تبين مما سبق أن (فكبكبوا) أصله (فكببوا)، يقال كبّه فانكب، أي ألقاه على وجهه، وكبكبه أي ألقاه على وجهه مرةً بعد أخرى، فتكرار المقطع أفاد تكرار الفعل، فصوت الكاف الشديد المهموس، والباء الشديد المجهور، قد حاكيا بتكرارهما تكرار الفعل؛ لأن الكب هو الإلقاء و الكبكبة هي الإلقاء مرةً بعد مرة، فَيُظْهِرُ صوت الكاف باجتماعه مع الباء المعنى المراد إيصاله وهو الإلقاء في جهنم مرة بعد أخرى حتى يستقرَّ في قعرها فلا إنقاذ يومئذٍ ولا خلاص ولا إخراج.

فيتبين الموقف الرهيب من خلال قذف المشركين مع آلهتهم التي يعبدونها من دون الله.

- **<u>لفظ (خَرَّ) ودلالته الصوتية على المعنى</u>**

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في أكثر من سورة:

قال سبحانه وتعالى: {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [1] .

وقال تعالى : { حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [2] .

وقال تعالى : {لَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} [3] .

ذهب بعض المفسرين إلى أن (خر) من مرادفات (سقط) أي إنهما بمعنى واحد ، قال الواحدي في تفسير قوله تعالى (خر من السماء) أي : سقط من السماء " [4]، وقال البغوي مفسراً قوله تعالى: { فَلَمَّا خَرّ تبينت الجنَ} أَيْ: " سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ " [5] .

---

(2) الزمخشري ، الكشاف : 3/ 322.

(3) الطيبي، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، (ت: ٧٤٣ ه)، ص: 474.

(1) سورة النحل الآية: (26).

(2) سورة الحج الآية: (31).

(3) سورة سبأ الآية: (14).

(4) الواحدي، أبو الحسن، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: 3/ 270.

(5) البغوي، أبو محمد، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) : 6/ 392.

والذي يتراءى لمن يتأمل في اللفظين إنه لا وجه للترادف فيهما، وإنما جاء النص بهذا اللفظ للإشارة إلى معانٍ لا تؤديها كلمة (سقط)، إذ إن لفظ (خر): لا يدل على مجرد السقوط، وإنما يدل على معنى سقوط مصحوباً بصوت، فليس مجرد سقوط.

فمادة (خر) توحي في القرآن بدلالتها الصوتية بأن هذا اللفظ جاء متلبساً بالصوت، وهذا اللفظ قد جاء بصيغة واحدة في عدة استعمالات، يدل بمجمله على السقوط والهوي، وهذا السقوط، وذلك الهوي: مصحوبان بصوت ما، وهذا الصوت هو الخرير، والخرير هو صوت الماء، أو صوت الريح، أو صوتهما معا، فالحدث على هذا مستل من جنس الصوت.

ومن هنا يستشعر الراغب دلالة اللفظ الصوتية فيقول: (فمعنى خرّ سقط سقوطاً يسمع منه خرير، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو) " [1] .

ثم يستطرد قائلًا: فاستعمال الخر تنبيه على اجتماع أمرين: السقوط، وحصول الصوت» [2].

ووجه الدلالة فيما يبدو أن الخر يأتي بمعنى السقوط من شاهق، وأن الخرير إنما يستعمل لصوت الماء أو الريح أو الصدى محاكياً لهذا اللفظ في ترديده، فلا يراد مجرد السقوط من (خر) وإنما اللفظ يراد به الصوت مضافاً إليه الوقوع والوجبة في إحداث هذا الصوت، وكانت هذه الإضافة الدلالية صوتية سواءً أكانت في صوت الماء، أم بالوقوع والسقوط، أم بالتسبيح. والله أعلم.

وربما يكون المعنى أوضح في التحليل المقطعي للصوت، فاللفظ (خر)، يتكون من مقطعين، الأول (خَ – رْ)، والثاني (رَ) أما المقطع الأول فهو يبدأ بحرف (الخاء) وقد جاء حرف الخاء مرققاً ليدل على الإنسيابية واللين في الحركة [3]، ولا شك أن هذا يتناسب مع طبيعة السقوط، أما حرف (الراء) فهو حرف مجهور متوسط الشدة والرخاوة، يراد به التحرك والتكرار والترجيع [4]، أم المقطع الثاني ففيه إعادة استخدام حرف الراء واستخدامها مفتوحة، وهذا دليل على معاودة التكرار والترجيع للحدث، فكأنه سقوط صاحبه اصطدام، فكان سقوطاً تلاه صوت.

- **<u>لفظ (زحزح) ودلالته الصوتية على المعنى:</u>**

ورد هذا اللفظ في قوله تعالى :{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [1] .

---

(1) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم : المفردات في غريب القرآن، (ت: ٥٠٢ هـ)، ص: 1/ 277.

(2) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم : المفردات في غريب القرآن، (ت: ٥٠٢ هـ)، ص: 1/ 277.

(3) انظر: عباس، حسن ، خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص 174.

(4) العباس،حسن، المرجع السابق: ص 88.

(1) سورة آل عمران الآية: (185)

قال القرطبي: (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ) أَيْ أُبْعِدَ. (وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ) ظَفِرَ بِمَا يَرْجُو، وَنَجَا مِمَّا يَخَافُ [2] . قال ابن فارس: " الزاء والحاء يدل على البعد يقال زحزح أي بُوعِدَ، قال الله تعالى: (فمن زحزح عن النار) " أي بُوعِد[3] .

وقال الزمخشري: " الزحزحة: التنحية والإبعاد تكرير الزح، وهو الجذب بعجلة " [4] .

تبين مما سبق أن (زحزح) أصله (زح)، يقال : زَحَّه : نَحَّاهُ عن مَوْضِعِه، ودَفَعَه، وجَذَبَه في عَجَلَةٍ. وزَحْزَحَه عنه: باعَدَه فَتَزَحْزَحَ، وهو بِزَحْزَحٍ منه، أي: ببُعْدٍ. والزَّحْزاحُ: البعيدُ [5]، فتكرار المقطع أفاد تكرار الحركة، فصوت (الزاي) مجهور رخو، يدل على الاهتزاز والتدحرج والنزلاق بما يحاكي ذبذبة صوته، (والحاء) حرف مهموس رخو، قد حاكيا بتكرارهما تكرار الفعل [6] .

- **<u>لفظ (حصحص) ودلالته الصوتية على المعنى:</u>**

ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: **{**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ **}[1].**

ومعنى قوله تعالى "حصحص الحق"، أي : ظهر وتبين ووضح وانكشف**[2]** . وَأَصْلُهُ حَصَصَ، فَقِيلَ: حَصْحَصَ، كَمَا قَالَ: كُبْكِبُوا فِي كَبَبُوا ، وَكَفْكَفَ فِي كَفَفَ، قَالَ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ. وَأَصْلُ الْحَصِّ اسْتِئْصَالُ الشَّيْءِ ، يُقَالُ : حَصَّ شَعْرَهُ إِذَا اسْتَأْصَلَهُ جزاً [3] .

تبين مما سبق أن (حصحص) أصله (حصص)، فكررت (الحاء والصاد) و(الحاء) حرف مهموس رخو، يحدث صوته باندفاع النفس بشيء من الشدة في مخرجه الحلقي ، ومن خصائصه الصوتية الهمس والاحتكاك، ويتميّز بضعف في النطق لأنّ الكثير يخلط بينه وبين الهاء . أمّا (الصاد) فهو أيضاً حرف مهموس رخو من أصوات الصفير، ليس له في الفصحى مقابل مجهور، وهذا ما يميزه

---

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) 4/ 302 .

(3) ابن فارس، أبو زكريا ، معجم مقاييس اللغة:

(4) الزمخشري ، الكشاف : 449/1.

(5) الفيروز آبادي: القاموس المحيط: 1/ 222.

(6) عباس ، حسن ، خصائص الحروف ومعانيها : 139، 140.

(1) سورة يوسف الآية: (51)

(2) الواحدي، التفسير الوسيط : 2/ 617.

(3) تفسير القرطبي : 9/ 208 .

عن بقية أصوات الصفير الواضح، وهو حرف يوحي بالشدة والصلابة والقوة ويفيد تقرير الحقيقة [4].

فجعل التكرير في اللفظ دليلًا على التكرير في المعنى[5] .

وما يعزّز التصور الدلالي هو التشكيل الصوتي نحو الرخاوة، وهما من أيسر الأصوات إنتاجاً في الأداء مما أعطى السياق الاعتراف ونصرة للحق. والأصوات المهموسة معروفة بالانخفاض في النطق لكن في هذا الموضع نلمس ارتفاعاً ملحوظا للمهموس.

<u>مثال (4) قوله تعالى (عسعس):</u>

ورد هذا اللفظ في قوله تعالى : {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ } [1] .

ومعنى قوله تعالى: " وَاللَّيْلِ إذا عَسْعَسَ "، أي: أقبل وأدبر، وذلك في مبدأ اللّيل ومنتهاه، فالعَسْعَسَةُ والعِسَاسُ: رقّةُ الظلامِ، وذلك في طرفي الليل، والعَسُّ والعَسَسُ: نفض الليل عن أهل الرّيبة. ورجلٌ عَاسٌّ وعَسَّاسٌ، والجميع العَسَسُ [2].

ولو انتقلنا للدلالة الصوتية لفظ (عسعس) من خلال التقسيم المقطعي للفظ لوجدنا أن القيمة الصوتية للصامتين المكررين لا تكمن في إيقاعهما بل في اقترانهما لتحديد الدلالة . فاللفظة مكونة من مقطعين (عس عس). (فالعين) حرف متوسط الشدة يوحي صوته بالفعالية والإشراق والظهور والسمو[3]، أمّا (السين) فهو أحد الحروف الصفيرية، صوته المتماسك النقي يوحي بإحساس لمسي بين النعومة والملامسة [4].

فالكلمة مركبة من مجهور ومهموس وهذا ما يعطيها توازناً واعتدالًا في نبرتها، كما أنها تجمع بين التوسط والرخاوة ولم يرد فيها الشديد.

فاجتماع الصامتين بهذه الخصائص اتّفق مع الصورة الحقيقية لرقة الظلام. فجعل التكرير في اللفظ دليلًا على التكرير في المعنى [5] .

---

(4) خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: 149، 152.

(5) الزمخشري ، الكشاف: 3/ 322.

(1) سورة التكوير الآية: (17)

(2) المفردات في غريب القرآن : 1/ 566.

(3) خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: 111.

(4) خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: 211.

(5) الزمخشري، الكشاف : 3/ 322.

المبحث الثالث

الأثر الدلالي للأجراس الصوتية والإيقاعية على المعنى .

تحدثنا في المبحث السابق عن دلالة الأصوات المنبعثة من اللفظة المفردة على المعاني، وفي هذا المبحث سوف تتناول الدراسة – بتوفيق الله تعالى – بيان الأثر الدلالي للمقاطع الصوتية والإيقاعية على المعنى، فالقرآن ليس معجزاً في لفظه وحسب بل أيضاً في إيقاعه وفواصل آياته فهي أيضاً ذات دلالة على المعنى، والحديث عن هذا المبحث سيكون- بعون الله - من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: الدلالة الصوتية للإدغام على المعنى.

المطلب الثاني: جرس صفات الأصوات وأثره في المعنى.

المطلب الأول : الدلالة الصوتية للإدغام على المعنى :

إذا ما حاولنا التماس الدلالة الصوتية في ألفاظ القران الكريم وقفنا على حقيقة راسخة وهي إن القرآن الكريم قد ناسب بين أصوات ألفاظه ومعانيها مناسبة عجيبة لفتت الأنظار، وأذهلت العقول حتى كأن اللفظة القرآنية تكاد تستقل – بجرسها ونغمها – بتصوير لوحة فيها اللون زاهياً أو شاحباً وفيها الظل شفيفاً أو كثيفاً [1].

ولعل ألفاظ غريب القرآن الكريم خاصة كانت ميزاناً رحباً لمن أراد ان يقف على الدلالة الصوتية للألفاظ على ماسوف يأتي بيانه بعون الله عز وجل .

- **قوله تعالى (أثّاقلتم) [1] :**

قال تعالى: [2]. جاءت هذه الآية في خطاب للمؤمنين والمنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك على وجه العتاب لتباطئهم في إجابة الدعوة إلى الجهاد [3]. وربما جاء التعبير في قوله (أثّاقلتم) على هذه الصيغة تحديداً من أجل المبالغة في تصوير التباطؤ والتقاعس عند هؤلاء النفر، وكذلك لما تؤديه

(1) انظر : د. صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن،: 334.

(1) الدينوري ، ابن قتيبة : غريب القرآن : 1/ 162

(2) التوبة الآية:(38)

(3) ينظر: لابي حيان ، البحر المحيط: 43/5

هذه اللفظة من صورة معبرة عن الحال التي هم فيها، (إذ يتصور الخيال ذلك الجسم المتثاقل يرفعه الرافعون في جهد فيسقط من أيديهم في ثقل)[4] .

قال الفراء: " وأثّاقلتم في الأصل (تثاقلتم)، فإذا وصلتها العرب بكلام، ادغموا التاء في الثاء لأنها مناسبة لها، ويحدثون الفاً لم يكن ليبنوا الحرف على الإدغام في الابتداء والوصل، وكان إحداثهم الألف ليقع بها الابتداء ولو حذفت لأظهروا التاء لأنها مبتدأة " [5].

والحقيقة إن جرس هذه اللفظة بما تحمله من ثقل في النطق جعلها تكون أكثر ملاءمة لمعنى النص فهي تعبر عن نفس مثقلة بحب الحياة، رضيت بالدنيا بديلًا عن الآخرة، وتصور ظلال هذا المشهد الحي، وقد ألصقت بالأرض، وتثاقلت عليها بمقدار ما تحمله الأرض من أثقال [6].

والذي يبدو أن ما أسهم في إظهار هذا المعنى في هذه اللفظة المفردة هو التشديد على الثاء (فإذا علمنا أن للتشديد عنصرين أولهما ثاء ساكنة والثاني ثاء متحركة... أحسسنا للسكون الذي في العنصر الأول إيحاء بالإخلاد إلى الأرض وعدم الرغبة في الخروج إلى للجهاد، مما يدل على أن الصوت يحكي الفعل أو على الأصح عدم الفعل)[1]، وكذلك فإن النطق بالثاء يلتصق طرف اللسان بالثنايا العليا، ولما تكرر الصوت نفسه على التوالي صار الالتصاق أشد مما لو كان غير مكرر، وهذا بدوره يوحي بشدة تقاعسهم وخلدهم إلى الأرض كما أن المقطع الصوتي الأخير من اللفظة نفسها (تم) قد أسهم هو الآخر في تخيل الصورة فأنت حتى تسمع هذا المقطع يتبادر إلى ذهنك وكأن شيئا ثقيلا قد وقع على الأرض فأحدث هذا الصوت، كما ان صوت المد الذي جاء في وسطها جاء ليصور ((أن هذا التثاقل لا يتحرك ولا يمتد إلا في مكانه)[2]، إذ إن البنية المقطعية لها هي (إثْ ثّا قلْ تم) جاءت لتشعر بالثقل في أولها ثم جاء صوت المد ليعطيها شيئا من الحركة والخفة وكأنما هو دعوة للنهوض، إلا إن هذا لم يدم طويلا فسرعان ما تعود إلى الثقل نفسه في المقطعين الأخيرين، ومن ثم فإن الثقل يطبع هذه الكلمة الأمر الذي دعا سيد قطب الى أن يرى (أن في هذه الكلمة طنا على الأقل من الأثقال ! ولو أنك قلت: تثاقلتم، لخف الجرس ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستثقل برسمها)[3] .

(4) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص: 91.

(5) الفراء ، معاني القران : 1 / 437 .

(6) ينظر: خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القران الكريم : ص 238، وينظر: الإعجاز الفني في القرآن: عمر السلامي ، ص: 105.

(1) د. تمام حسان ، البيان في روائع القرآن – دراسة لغوية اسلوبية في للنص القراني، ص:287.

(2) خالد قاسم ، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 239 .

(3) سيد قطب، التصوير الفني، ص: 91.

وبذا تكون قد تضافرت أصوات هذه المفردة على رسم مشهد أولئك الذين خصتهم الآية المباركة رسماً دقيقاً حتى كأننا نراهم رأي العين، وقد أسهم ثقل الصيغة في الوصول إلى الإيحاء بالمعنى

المطلوب فضلا على إنه منح النص إيقاعاً عذبا في موضعه جذب الانتباه وشد المتلقي إليه بما يحمله من طاقة جمالية وقدرة على التأثير.

- **قوله تعالى : (ادّارأتم) [1] :**

ومن ألفاظ الغريب التي جاءت على هذه الصيغة (ادّارءتم) في قوله تعالى: [2] فقال عز وجل: (ادّارأتم) والأصل (تدارأتم) والمعنى ((اختلفتم واختصمتم فيها)[3] ،

ولو تأملنا اللفظ وحاولنا التماس الدلالة الصوتية فيه وما أثاره الإدغام من إيحاء بالمعنى المطلوب وقفنا على صورة معبرة لا تختلف كثيراً عما مر بنا في (أثّاقلتم) إلا من جهة المعنى. فالمعنى في (ادّارأتم) يبعث في الذهن صورة مَن خصتهم الآية الكريمة وهم في حالة شديدة من الاختصام والاختلاف، وهذه الشدة في الحال جاءت لتحاكي شدة الفعل وهو القتل، فلو جاء التعبير بقوله (تدارأتم) لكانت الدلالة الإيحائية أقل شدةً، ومن ثم لا يكون هنا معادل لشدة الفعل وعليه فإن الادغام جاء استجابة للمعنى والموسيقى، إذ إنه أفاض على النص بشحنة موسيقية صاخبة منسجمة مع سياق القوة والعنف والتهديد الذي جاء به النص الكريم.

- **قوله تعالى (أدّاركوا) [1]:**

ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادّارأتم فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) [2] .

«أدّاركوا» بمعنى تَلاحَقُوا [3]، وقد قرأ الجمهور: (إذَا ادَّارَكُوا) بوصل الألف وتشديد الدَّال، وقرأ ابْنُ مسعودٍ والأعْمَشُ، ورويت عن أبي عمرو: تَدَارَكُوا وهي أصل قراءة العامة. وقرأ أبو عمرو (إذا أدّاركوا) بقطع همزة الوصل. وقرأ حميد (أُدْرِكوا) بضم همزة القطع، وسكون الدَّال وكسر الراء، مثل

---

(1) ينظر: السجستاني، أبو بكر العُزيري (ت : 330هـ) ، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب ، المحقق : محمد أديب عبد الواحد جمران ، دار قتيبة – سوريا ، ط1 ، 1416 هـ – 1995 م ، 1/ 98.

(2) سورة البقرة الآية : (72) .

(3) للزمخشري ، تفسير الكشاف ، 1 / 143، وينظر: الرازي . مفاتح الغيب ، 3 / 132، القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن، 2 / 193.

(4) ينظر : الدمشقي ، ابن عادل(ت: 775هـ) : اللباب في علوم الكتاب ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ط1، 1419 هـ –1998م

: 9/ 108 .

(5) الأعراف آية: (38) .

(6) اللباب : 9/ 107.

(أُخْرِجُوا) جعله مبنياً للمفعول بمعنى: أُدْخِلوا في دركاتها أو أدراكها. ونقل عن مُجَاهِدٍ بْنِ جَبْرٍ قراءتان: فروى عنه مكي (ادَّرَكوا) بوصل الألف وفتح الدال مشدّدة وفتح الراء، وأصلها (ادْتَرَكوا) على افتعلوا مبنياً للفاعل، ثم أدغم، كما أدغم (ادَّان) من الدَّيْن[4].

والأصلُ: تداركوا، فلما أريد إدغامُهُ فُعل به ما فُعل ب «ادّارأتم» فقال: (أدّاركوا) والأصل تداركوا، والمعنى تلاحقوا، وزن أدّاركوا: اتفاعلوا ، فيلفظ بالتاء اعتباراً بأصلها، لا بما صارت إليه حال الإدغام. وهذه المسألةُ نصُّوا على نظيرها، وهو أنَّ تاء الافتعال إذا أبْدِلت إلى حرف مُجَانِسٍ لما قبلها كما تبدل تاء طاء، أو دالاً في نحو: اصْطَبَر، واضْطَرَبَ، وازْدَجَرَ، وادَّكَرَ، إذا وُزِن ما هي فيه قالوا: يُلفظ في الوزن بأصل تَاءِ الافتعال، ولا يُلفظ بما صارت إليه من طاء أو دال، فتقولُ: وزن اصطبر افتعل لا افطعل، ووزن ازدجر افتعل لا افدعل، فكذلك تقولُ هنا: وزن أدّاركوا اتفاعلوا لا افَّاعلوا، فلا فرق بين تاء الافتعال والتَّفعال في ذلك[1].

مما سبق وظيفة الإدغام تمثلت في إعطاء دلالة الفعل سرعة في الحركة ، فكما هو معلوم أن الأفعال تدل على الحركة والاستمرار كما أن الأسماء تدل على الثبوت والاستقرار. ولما جاء الفعل على هذه الصيغة المدغمة أعطى تصوراً عن الحال التي تلاحقوا فيها فكأنما كان بعضهم إثر بعض على وجه السرعة ولاسيما أن الموقف الذي هم فيه هو موقف حشر وحساب وشدة ، فجاءت شدة الادغام لتحاكي شدة الموقف.

المطلب الثاني : جرس صفات الأصوات وأثره في المعنى

ويقصد بهذا المطلب الأثر الدلالي للمجانسة الصوتية للحروف في الكلمة، بمعنى أن اللفظ قد يكون غير مشتمل على حرف معين، ولاكن يدخل حرف ما إدخالًا على اللفظة نظراً لوجود حروف يتجانس معها من الناحية الوصفية والمخرجية، وبالمثال يتضح المقال.

- **قوله تعالى (يصطرخون) [1]:**

قال تعالى: [وهُمْ يَصطرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صلِحاً غَيرَ الَّذِي كنَّا نَعْمَلُ أَو لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظالِمِينَ مِن نَّصِير] [2] .

---

(7). سيد قطب، التصوير الفني، ص: 91.

(1) ينظر: ابن عادل الدمشقي ، اللباب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ط1، 1419 هـ -1998م : 9 / 107 - 108.

(1) ينظر : غريب زيد : ص 206،

(2) سورة فاطر: الآية (37) .

إنَّ(يصطرخون) هنا جاءت بمعنى يتصارخون بشدة ، والاصطراخ الصياح والنداء بالاستغاثة: افتعال من الصراخ ، قلبت التاء طاءٌ لأجل الصاد الساكنة قبلها، وإنما فعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والاطباق ويوافق التاء في المخرج [3]، ولعل التساؤل الذي يتبادر إلى الذهن- هنا- لماذا كان التعبير بهذا اللفظ دون يصرخون؟

وإذا عدنا إلى حقيقة المشهد الذي هم فيه علمنا أنه من أشد المشاهد فزعاً فالضمير في (فيها) يعود على نار جهنم التي مر ذكرها في الآية السابقة، فهم بين لهيبها وحسيسها وكلاهما أفزع من الآخر. فالمشهد إذن من مشاهد عذاب يوم القيامة تعالت فيه الأصوات تستغيث من النار، وعليه فقد جاء صوت الطاء ليضيف معنى الشدة في استغاثة الكافرين ليدل على صراخ قوي نابع من نفوس محطمة بائسة [4]، فضلا على ذلك فإن صوت الطاء دائما ما يكون للتعبير عن علو الأصوات، فالأطفال مثلا إذا أرادوا التعبير عن صوت العيار الناري رددوا صوت الطاء مع المد (طا طا) لما يمتلكه من قوة انفجارية عالية، كما تظافرت مع هذا الصوت أصوات (الصاد والخاء والراء) فهي أصوات مفخمة وعليه فقد كان ((توالي الصاد والطاء وتقاطر الخاء والراء والترنم بالواو والنون يمثل لنا رنة هذا الاصطراخ المدوي)[1]، وعليه فإن هذا اللفظ بصيغته وجرسه وشدة النطق به ترجم بدقة متناهية الحالة النفسية لهم وهم في حالة من الضجيج والانفعال والصراخ، فأنت ((تسمع كلمة (يصطرخون) في الآية فيخيل جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالاصوات الخشنة)) [2]. وإن هذا كله حقق تناسقا جماليا رائعا جعل من المتلقي يستشعر المعنى عن طريق تناسب الأصوات وانسجامها مع الدلالة.

- **قوله تعالى: (ضيرى)[3] .**

قال تعالى: [أَلَكُمُ الذّكَرُ ولَهُ الأُنثى * تِلك إِذاً قِسمَةٌ ضِيزَى] [4] .

لقد ذهب المفسرون إلى ان (ضيزى) بمعنى جائرة أو ناقصة أو ظالمة، ويقال: (ضاز في الحكم إذا جار، وضيزى وزنه (فُعْلى)، فكُسِرت الصاد للياء وليس في النعوت (فِعلى)[5] ، ومن هذا نفهم أن

(3 الطبرسي ، مجمع البيان : 8 / 641.

(4) انظر: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم : ص235.

(1) الصوت اللغوي في القران : ص 166.

(2) التصوير الفني في القران الكريم : ص 79

(3) ينظر: غريب ابن قتيبة : ص 428 .

(4) سورة النجم الآية : (21- 22)

(5) العكبري ، التبيان ،:2/ 1188 .

هذه المفردة لم تكن غريبة في لفظها فقط، وإنما في صيغتها أيضاً وعليه فقد كانت هذه الغرابة أشدَّ الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها [6]. وما أراها على هيأتها هذه إلا مصداقا لما قاله الجاحظ: إنما الألفاظ على أقدار المعاني [7].

وإذا نظرنا إلى هذه اللفظة بلحاظ البناء الصوتي لها ومدى ملاءمته لمعناها نجد أنها تكوّنت من مقطعين صوتيين، الأول مدٌّ ثقيل، والآخر مد خفيف، ومن المعلوم لدينا أن الكسر أثقل أصوات المد القصيرة، وقد جاء بعد صامت (الضاد)، أما الفتح فهو أخفها وقد جاء بعد صامت (الزاي)، وهذا التشكيل الصوتي للفظة يجعل المتأمل بها كأنّه أمام كفتي ميزان، وهاتان الكفتان غير متوازنتين، فكانت اللفظة بذلك من مصاديق القسمة الجائرة، إذ إنها تمكنت في موقعها من ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي من وصف حالة المتهكم في إنكاره) [1] .

هذا من جهة المعنى، أما من جهة الموسيقى فقد جاءت على الحرف المسجوع الذي انتهت به فواصل السورة كلها، ما أعطاها قوة في موضعها، إذ لا يسد مسدها لفظ آخر [2] .

وقد أشار إلى ذلك من السابقين ابن الأثير في معرض مناقشته لها، فهو يقول: إذا جئنا بلفظة في معنى هذه لفظة قلنا: (قسمة جائرة أو ظالمة)، ولا شك أن جائرة أو ظالمة أحسن من ضيزى، إلا أن إذا نظمنا الكلام فقلنا: لكم الذكر وله الأنثى تلك إذن قسمة جائرة لم يكن النظم كالنظم الأول د، وصار الكلام كالشيء المعوز الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة لنظم الكلام [3] .

ومن هذا يتبين لنا أن هذه اللفظة متى ما جاءت مفردة خارج النظم كانت غريبة وقبيحة في الوقت نفسه، ولكن فصاحتها وسر جمالها ينكشف واضحاً وجلياً في التركيب ولاسيما في السياق القرآني الذي وردت فيه، إذ جاءت ملبيةً للمعنى والإيقاع معاً، إذ إنها خلقت حالة من التناغم بينهما ألقى بظلاله على المتلقي في خلق حالة من الدهشة عنده وهو يتلقى النص قارئاً أو سامعاً.

---

(6) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – للرافعي : ص230، وينظر: لغة القرآن– احمد مختار عمر: ص 144، صلاح الدين عبد التواب ، الصورة الأدبية في القرآن الكريم : ص 83.

(7) الجاحظ ، الحيوان : 8/6.

(1) صلاح الدين عبد التواب ، الصورة الأدبية في القرآن الكريم: ص 84.

(2) انظر : جرس الألفاظ : ص 203. من بلاغة القرآن : ص 73. في جمالية الكلمة : ص 46.

(3) ابن الأثير ، المثل السائر : 162/1.

الخاتمة

وكما حمدت الله في ابتدائي أحمده على انتهائي، فالحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، أحمده على توفيقه وتيسيره لإنهاء هذا البحث وإتمامه، وأشكره على ما حباني به من صنوف النعمة، وبعد:

فقد آن لي أن أختم هذا البحث، ليس دعوة مني بوصول الكمال، ولكن هذا غاية جهدي، فإن كان عملي هذا صواباً وحسناً فمن الله، وإن يكن غير ذلك فمني، والله يتولاني بمغفرته وعطفه وإحسانه.

وتشتمل هذه الخاتمة على نتائج الدراسة وتوصياتها:

اولًا: نتائج الدراسة:

من خلال المسائل التي تناوله البحث، يمكن الخلوص إلى النتائج التالية :

1- توصلت الدراسة الى وجود علاقة بين الصوت والفظ في اللغة العربية.

2- بنات الدراسة نتائجها على وجود علاقة قديمه بين الصوت والمعنى وقدمها قدم التاريخ..

3- إعتماد المهجية العلميه في التوصل الى نتائج الدراسة.

4- أن فكرة (زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى) قد ظهرت قديماً نتيجة بحوث الأوائل عن طبيعة العلاقة بين الصوت والمعنى، التي تذوّقها اللغويون في جمعهم لكلام العرب.

5_ تبين عددمن المفاهيم والقيام بشرحها وتفصيلها من أجل إثراء دراستي المتعلقة بألفاظ القرآن الكريم.

6- العلاقة بين الصوت والمعنى لها دلالتها من القرآن الكريم، فهناك أمثلة كثيرة ساقها البحث على وجود ما يؤيد تلك ال من القرآن الكريم.

7- أن الألفاظ التي استخدمها القرآن الكريم والتي تسمى بغريب القرآن قد جاءت بصورة فائقة، فهي مناسبة للفظ والسياق بشكل يبهر العقول ويثبت أن هذا القرآن هو حقاً معجزة في نظمه وبلاغته.

ثانياً: توصيات الدراسة:

أولاً: ضرورة التوسع في دراسة العلاقة بين الصوت والدلالة، لاسيما ما يتعلق بالأثر المعنوي للفظ في سياقه، فذلك له أثر كبير في بيان بلاغة القرآن الكريم وإعجازه اللفظي.

ثالثاً: ضرورة تدريس كليات الشريعة واللغة العربية وغيرها من الكليات التي لها صلة بدراسة علوم اللغة والشرع لطلابها - ولو بصورة عامة – ما بين اللفظ ومعناه من دلالة، فهذا له أثره في بيان صوره إعجازية أخرى للقرآن الكريم الذي هو بلسان عربي مبين.

وبعد ... فهذه جملة موجزة من نتائج هذا البحث ، وفي ثناياه نتائج وثمار كثيرة.

فالحمد لله على ما أعان ووفق من هذا البحث ، وأشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فهو صاحب الفضل والمنة؛ حيث أنعم علي بنعمة الإسلام وجعلني من أتباع خيرة خلقه محمد - ρ -، كما أنعم علي بإتمام هذا البحث المتواضع ، وإكماله على هذا النحو وأسأله جلت قدرته أن يجعله عملًا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون مما تثقل به موازين الحسنات يوم القيامة، وأن ينفع به .

والحمد لله والصلاة والسلام على خير الخلق سيدنا محمد - ρ - صلاة وسلاماً طيبين دائمين متلازمين عدد حبات الأرض وقطر الندى

•قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

1. الإبدال، أبو الطيب اللغوي ، علي عبد الواحد (ت 351هـ)، تحقيق: عز الدين التنوخي، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق،1961م .
2. أسباب حدوث الحروف: ابن سينا، الطبعة بدون رقم، القاهرة 1352هـ .
3. الأصوات اللغوية: د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط). 2007.
4. الأضداد في كلام العرب، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (351هـ)، تحقيق: عزت حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط2، 1996.
5. الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1980.
6. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – مصطفى صادق الرافعي دار الكتاب العربي، لبنان، ط9، 1973م.
7. البحر المحيط: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (745هـ)، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1993 م .
8. البلاغة الصوتية في القران الكريم، محمد إبراهيم شادي، مؤسسة الرسالة، 1988.
9. البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية لونجمان، 1994.
10. البنى الأسلوبية، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
11. البيان في روائع القرآن – دراسة لغوية اسلوبية في للنص القرآني، د. تمام حسان، عالم الكتب، 1993.
12. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، الكتاب بدون تاريخ ورقم الطبعة.

13. التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (460هـ)، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، 1409ه.

14. بطرس البستاني، دائرة المعارف، بيروت، دار المعرفة، د. ت.، المجلد 7، ص 124.

15. وهبه، مجدي، معجم مصطلحات الأدب، ط/1، مكتبة لبنان، بيروت 1974م ، ص367.

16. التبيان في تفسير غريب القران: تصنيف شهاب الدين احمد بن محمد بن عماد المعروف بابن الهائم (812ه)، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، 2003.

17. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين حسين بن محمد الطيبي (743 ه)، تحقيق: د. هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب، مكتبة النهضة، بيروت، 1987م.

18. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، القاهرة، دار الشروق، ط 16، 2002.

19. التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي، القاهرة، 1983م.

20. تفسير غريب القران: سراج الدين عمر بن الحسن المعروف بابن الملقن (804ه)، تحقيق: سمير طه المجدوب، عالم الكتب، بيروت، 2011.

21. تفسير غريب القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276ه)، تحقيق: السيد احمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، 2007.

22. تفسير غريب القرآن المجيد: الإمام أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) (122ه)، حققه ورتبه: محمد يوسف نور الدين، الجامعة العثمانية، (د. ت).

23. تفسير القران العظيم ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت 774ه)، تحقيق: مصطفى السيد محمد واخرين، مؤسسة قرطبة، 2000م.

24. التوجيه الأدبي د. طه حسين وآخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1952.

25. جامع البيان في تأويل آي القران، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310ه) تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيميه، القاهرة.

26. الجامع لأحكام القران والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو بكر القرطبي (ت 571)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة.

27.جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980.

28.حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، المؤلف: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: 1206هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، الطبعة: الأولى 1417 هـ -1997م ، عدد الأجزاء: 3

29.الحجة في القراءات السبع –الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: أحمد فريد المزيدي. دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.

30.الحيوان: الجاحظ (255 ه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عيسى بابي الحلبي، ط2، 1967.

31.خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، 1992.

32.الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (393ه)، تحقيق: محمد علي النجار، النهضة المصرية العامة للكتاب، ط 4، 1999.

33.دور الكلمة في اللغة، ستفن اولمان، ترجمة كمال محمد بشير، القاهرة، 1975.

34.دلالات الظاهرة الصوتية في القران الكريم، خالد قاسم بني دومي، جدارا للكتاب العالمي، عمان، عالم الكتب الحديث، أربد، 2006.

35.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الآلوسي (ت 1270ه)، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت).

36.الصوت اللغوي في القران: د. محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، 1983م.

37.روبرت هنري روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، العدد 227، ت ط 1978م ،ص 42.

38.(2) رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي:، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 3، 1417هـ - 1997م ، 1/ 112.

39.(3) انظر : التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق: د. علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ،ط1، 1996م. مقدمة المحقق: ص 32 .

40.كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) المحقق: د مهدي المخزومي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال عدد الأجزاء: 8

41.علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.

42.غريب القران المسمى بنزهة القلوب: لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، تصحيح لجنة من أفاضل العلماء، مطبعة محمد بن صبيح وأولاده، الأزهر، 1963.

43.الغريبين في القرآن والحديث: أحمد بن محمد الهروي (401ه)، تحقيق: احمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، 1999.

44.في جمالية الكلمة، حسين جمعة، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م.

45.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، شرح وضبط يوسف الحمادي، مكتبة مصر، القاهرة، (د. ت).

46.اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت880ه) تحقيق: الشيخ عادل أحمد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

47.لسان الميزان لمؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت : 852هـ) المحقق: دائرة المعرف النظامية - الهندالناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ط2، 1390هـ /1971م عدد الأجزاء: 7

48.المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الطبعة: 1420هـ- 1999م ، عدد الأجزاء: 2

49.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير الكاتب (ت: 637هـ) ، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، عام النشر:1420 هـ، الطبعة بدون رقم .

50.مجمع البيان في تفسير القران، أبو علي الطبرسي (548ه)، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1986.

51.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية، (ت 546) الأندلس، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

52.معاني القران: أبو زكريا يحيى بن زياد للفراء (207ه)، عالم الكتب، ط3، 1983.

53.معجم غريب القرآن: محمد فؤاد عبد الباقي، دار القلم، بيروت، ط2، (د. ت).

54.معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م

55.معجم مقاييس اللغة: المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون

الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م. عدد الأجزاء: 6

56.مفاتح الغيب المشهور بالتفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (604 ه)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981.

57.المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى (502هـ)، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2009م.

58.نفس الصباح في غريب القران وناسخه ومنسوخه، أبو جعفر بن احمد بن عبد الصمد الخزرجي (582ه)، تحقيق: محمد عز الدين المعيار، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1994م.

59.العالي، عز الدين. العلاقة بين اللفظ والمعنى وآراء القامى والمتحدثين فيها، (2016). المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراته، ليبيا، العدد السادس، ج2.

الرسائل الجامعية:

1- جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم: محمد الصغير ميسة، جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر ، 2012م ، (اطروحة ماجستير)

2- بنية المقطع في القران الكريم، دراسة صوتية دلالية، دريد عبد الجليل عبد الأمير، كلية الآداب، جامعة القادسية، (اطروحة دكتوراه)، 2007.

3- القيم الجمالية في الحديث النبوي الشريف: حازم كريم، جامعة القادسية، كلية الآداب (اطروحة دكتوراه)، 2012.

(ج) الدوريات:

1- السيد خضر، مقال بعنوان: الفواصل القرآنية دراسة بلاغية ، مجلة منار الإسلام الإماراتية، عدد : 5 صفر 1420هـ ، يونيو 1999م.

2- عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم ، مقال بعنوان: المناسبات وأثرها على تفسير القرآن، مجلة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، العدد 2، 2005م

3- أحمد الشايب عرباوي، جمالية الفاصلة في الربع الأخير من القرآن الكريم مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير) شعبة اللغويات (جامعة منتوري، قسطنطينية،2003م